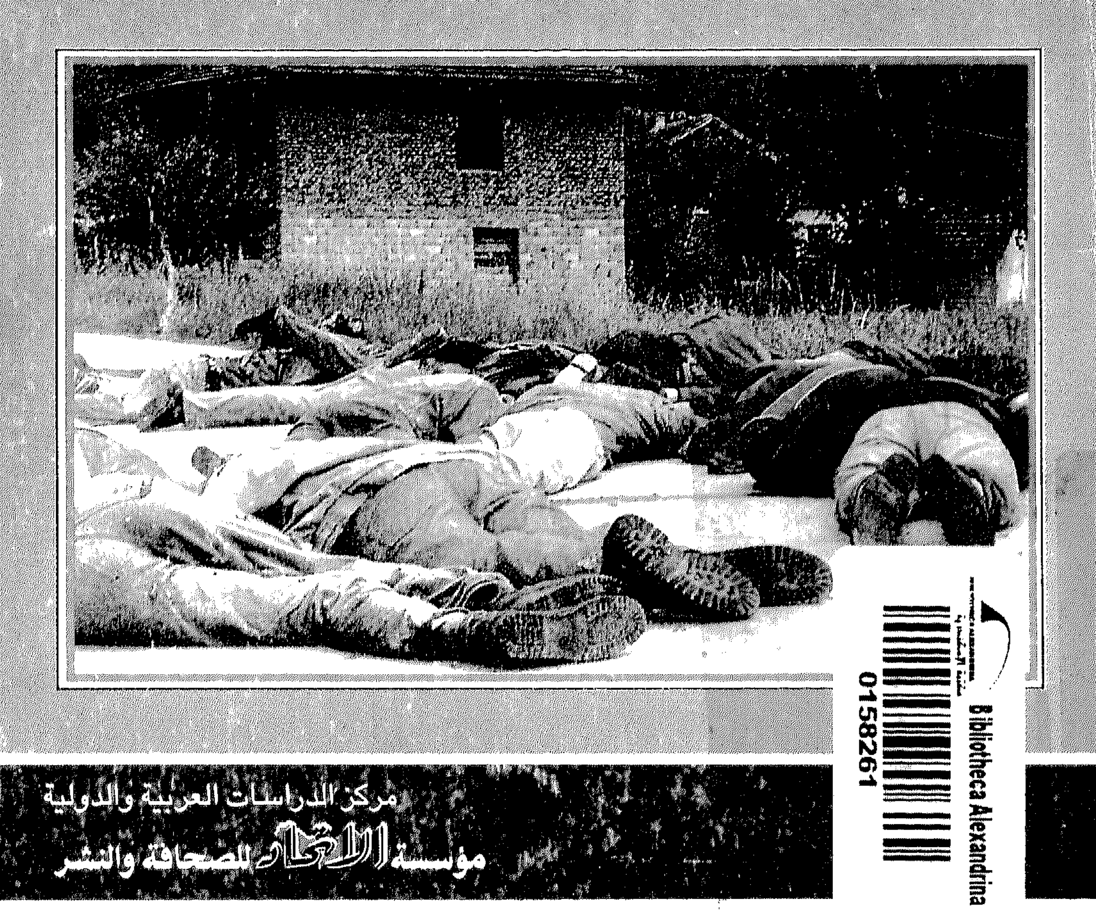
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيد حمدي

شاهد على مأساة البوسنة



مركز الدراسات العربية والدولية

مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر



شاهد
على مأساة البوسنة

اهداءات ١٩٩٩
سفارة دولة الإمارات العربية
المتحدة بالقاهرة

الطبعة الاولى
السنـــة ١٤١٣ هـ ـــ ١٩٩٢ م

اصدار : مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر
الاخراج : محمد عباس

سيد حمدي

شاهد على مأساة البوسنة

مؤسسة [illegible] للصحافة والنشر
مركز الدراسات العربية والدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

«الاهـــــداء»

الى أبـى رحمه اللــه.. فـلا يــزال صوته وهو يصدع بـالقرآن كل صبـاح ينسـاب فى أذنى. اللهم اجـعل مبتـدئى ومنتهـاى فى ميزان حسنـاته.

تقديم

استغرقتنى احداث يوغوسلافيا وهى تعيش حالة الانهيار كمشروع اتحادى تأسس خارج حدود التاريخ والجغرافيا وكذلك الدين. فجأة انشقت الخريطة عن لوحة تحمل تقريبا نفس الحدود الداخلية لدولة المارشال تيتو وظهرت خمس دول من رحم الدولة الام. اختارت مونتيجرو «الجبل الاسود» البقاء مع صربيا فى ظل دولة واحدة، وانفصلت او استقلت كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا● والبوسنة والهرسك. وسط هذه التداعيات برزت البوسنة والهرسك ثم كرواتيا ساحتين لاكثر الصراعات دموية بمواجهة صربيا. واذا كانت كرواتيا قد حسمت امرها منذ اللحظة الاولى ـ وربما قبلها واتخذت طريق الحرب، فان البوسنة ظلت حتى اللحظة الاخيرة متمسكة بخيار السلام دون ان يضطر ذلك بلجراد الى احترام قرار سراييفو بالاستقلال.

رحلتى الاولى الى اشلاء يوغوسلافيا مع نهاية عام ١٩٩١ وبداية عام ١٩٩٢ حملتنى داخل اتون الازمة وطاحونتها. ازمة سياسة واقتصاد وهوية وتاريخ يتسرب فجأة من بين ملايين الايدى التى اخذت تستعيد الحقائق مع مرور الوقت.

شغلتنى فى رحلتى الاولى قضية الدين. سؤال كبير طرحته علي تلك الصراعات المريرة. هل يمثل الدين الارضية الاكثر اتساعا التى تتشكل فوقها كل العناصر الاخرى اللازمة قبل ان تكتسب ملامحها النهائية؟ عوامل كثيرة ومتنوعة تفسر المواقف هنا وهناك. تأكدت اكثر من اهمية السؤال فى رحلتى الثانية اواخر مايو واوائل يونيو من عام ١٩٩٢. على مستوى الداخل لاحظت فرزا عرقيا يتطابق وفرزا دينيا فى نفس الوقت.. صربيا ارثوذكسية وكرواتيا كاثوليكية والبوسنة والهرسك مسلمة.. على مستوى الخارج تبدى عامل الدين بشكل اوضح. دعم او تعاطف روسى رومانى يونانى لصربيا والجميع ينتمون للكنيسة الارثوذكسية. دعم غرب اوروبى لكرواتيا وكلاهما ـ فى الاغلب ـ من الكاثوليك. تعاطف واضح من رجل الشارع فى العالم الاسلامى مع البوسنة والهرسك.

مستوى الدعم الذى تلقاه كرواتيا الكاثوليكية من الغرب خرج بالجمهورية الناشئة الى عالم الشرعية الدولية ذات كيان واضح محدد يتمتع بسلطة مركزية قوية رغم تواجد صربى مسلح فوق ثلث اراضيها. فى نفس الوقت تتبلور ملامح مقايضة لا تخفى على اى متابع يمارسها الغرب فى تعامله مع البوسنة. فلا هو مستمر فى دعمه السياسى والعسكرى لها حتى النهاية ولاهو يريد الضغط على صربيا حتى النهاية على طريق الالتزام بالمقررات الدولية. يتبين اكثر مع مرور الوقت واشتداد القصف الصربى ان الغرب يتمنى على القيادة البوسنوية تقسيما فعليا للجمهورية مع الابقاء على الشكل الخارجى للدولة الواحدة بحيث تفقد اى مضمون يمكنها من التحرك بفعالية وسط محيطها او مجالها الاوروبى. من جهة قدم الرئيس على عزت بيجوفيتش موافقته على نظام سياسى علمانى كى يهدىء مخاوف غربية حقيقية من توجيهات الغالبية المسلمة، فلم يكف ذلك! كان المطلوب دولة بلا دولة او جمهورية تحمل بذور التفتت قابلة للانفجار فى اى وقت.

● يمثل المسلمون ٤٠٪ من سكانها البالغ اجماليهم ٢٫٥ مليون نسمة ولديهم ايضا معاناتهم ومشاكلهم.

هذه ـ اذن ـ محاولة لفهم الواقع البوسنوى للتعرف على مختلف تضاريس الازمة ورصد اعلى القمم وابرزها للعيان دون اغفال القمم الصغيرة المجاورة التى قد تنتمى لها بطريقة او باخرى. محاولة متواضعة عبر جهد صحفى لرصد واقع الازمة بالخبر والتحقيق والحوار فى اروقة السياسة وشوارع المدن المنكوبة وكذلك جبهات الحرب. واذا كان ثمة شكر يوجه بهذا الصدد، فانى اذكر بكل التقدير الدور الذى قامت به جريدة «الاتحاد» التى لم يتردد القائمون عليها فى ابتعاثى الى مواقع الازمة برغم اننى اتحمل مسئولية مدير مكتب الجريدة فى العاصمة الفرنسية. ولا انس موقف الزميل الاستاذ عبيد سلطان مدير التحرير الذى اعطى موافقته فورا فى المرتين لكنه اضاف جديدا فى الرحلة الثانية حين طلب منى عدم الذهاب الى جبهة الحرب حرصا على سلامتى. الامر الذى ترك لدى اثرا عميقا وتقديرا حقيقيا لذلك الموقف الانسانى رغم اننى لم استطع مقاومة اغراء زيارة الجبهة فى البوسنة والهرسك ومعايشة اجواء المعارك كما حدث تماما فى الزيارة الاولى.

سيد حمدى

باريس فى

١٩٩٢/٧/٦

الفصل الاول

الرحلـــــة الاولــــى



تقديم

مع حلول اليوم الاول من عام ١٩٩٢ وفى ظل المعارك المستعرة بين صربيا وكرواتيا كانت بلجراد تحتفل بحلول السنة الميلادية الجديدة مدركة تماما انها المرة الاخيرة التى تحتفل بها تحت اسم يوغوسلافيا التى يعرفها العالم. ظلت القيادة الصربية ممثلة فى شخص رئيسها سلوبودان ميلوسفيتش على اصرارها من اجل استمرار الاتحاد اليوغوسلافى بالشكل الذى رسم الرئيس تيتو ملامحه. لكن البحث فى واقع الشارع وقرارات الحكومة كانا يكشفان بسهولة انهيار الحلم الاتحادى. اعتمدت صربيا دينارا جديدا «العملة الوطنية» بعدما سبقتها الى خطوة مماثلة جمهوريتا كرواتيا وسلوفينيا. بدا وقتها سيناريو ترتكز ملامحه الى خروج سلوفينيا من المواجهة مع صربيا سليمة معافاة بعد معارك استمرت نحو اسبوعين فقط، كرواتيا التى اعلنت ايضا استقلالها تخوض حربا شرسة مع صربيا. البوسنة والهرسك تريد استقلالا قائما على السلام وحده. بقى من الاتحاد القديم الجبل الاسود «مونتينجرو» التى آثرت السلامة واختيار الجانب الصربى. اما مقدونيا فقد كان واضحا انها تسير ايضا نحو الاستقلال.

ايضا مع حلول اليوم الاول من عام ١٩٩٢ تأكد ان باب الشرعية الدولية صار مفتوحا على مصراعيه فى ظل رغبة اوروبية ظاهرة للاعتراف بالجمهوريات التى نزعت عن نفسها الصفة اليوغوسلافية. تحدد الخامس عشر من يناير موعدا للاعتراف من قبل المجموعة الاوروبية باستقلال اى من هذه الجمهوريات مع التركيز بصفة خاصة على سلوفينيا وكرواتيا بدعم من المانيا التى حملت لواء الاعتراف فى ردهات الدبلوماسية الاوروبية. الموقف الصربى الملىء شعورا بالمرارة لخصته تصريحات رسمية عدة مفادها «نحن لا نطالب باكثر من الحفاظ على وحدة دولتنا.. لسنا دعاة انفصال». رددوا اتهامات عدة لدول المجموعة الاوروبية وعلى رأسها المانيا. قالوا «انهم لا يريدون وحدتنا. يبذلون كل جهدهم لاتمام مشروع الوحدة الاوروبية. فى الوقت ذاته يبذلون كل جهدهم لقطع اوصال يوغوسلافيا الاتحادية. باختصار ان مايحدث هو انفصال هنا ووحدة هناك». عشت هذه الايام العصيبة فى شوارع بلجراد وزغرب وايضا سراييفو● عنادا ومرارة فى الاولى.. تحديا وآلاما فى الثانية.. وفى الثالثة تلويح بورقة السلام وثقة كبيرة فى المستقبل. ادرك الجميع فى تلك المرحلة الفاصلة ان الصرب يسبحون ضد التيار. فالدستور الاتحادى نفسه يعطى الجمهوريات

● رحلتى الاولى اواخر ديسمبر ١٩٩١ وبدايات يناير ١٩٩٢.

المنخرطة فى الدولة حق الاستقلال مشترطا سبيل الحوار لا الحرب. حوارات كثيرة مع دبلوماسيين اجانب ومسئولين تبين من خلالها ان الصرب يعرفون مثل غيرهم ان الاتحاد مآله الى انفصال. كل ما هنالك انهم يريدون قضم اكبر مساحة ممكنة من الاراضى الواقعة خارج حدودهم. ومعاركهم فى كرواتيا والبوسنة والهرسك تؤكد هذا المخطط.

ارتكزت الدبلوماسية فى معالجة الازمة مع كرواتيا وسلوفينيا الى رؤية محددة للموقف الاوروبى. لوح طرفا النزاع فى (يوغوسلافيا ، تيتو بورقتى الاقتصاد والدين على حساب الشرعية والمواثيق الدولية. منذ بدء الصراع مع الكروات وتحديدا فى منتصف عام ١٩٩١ حينما اعلنوا استقلالهم، بدا للصرب ان اوروبا الساعية الى تجسيد حلم الوحدة نهاية عام ١٩٩٢ ستتصدى لزغرب لعدة عوامل ابرز هذه العوامل عدم تكريس سوابق انفصالية تدعم اتجاهات غرب اوروبية مماثلة كالجيش الجمهورى الايرلندى، والباسك الاسبان والفرنسيين، والكاتلان الاسبان. لقى التصور الصربى فشلا ذريعا واندفع القطار الاوروبى خلف القاطرة الالمانية الاكثر حماسا لاستقلال كرواتيا. فقد بذلت بون جهدا كبيرا وابدت استماتة على هذا الطريق لمصلحة استراتيجية لا تخفى على احد. رأت ان وجودها كدولة موحدة تبحث عن دور يتلاءم وامكانياتها وتاريخها يستلزم البحث عن منافذ بحرية اكبر من ميناء هامبورج المطل على الاطلنطى. ووجدت ضالتها فى ساحل بحر الادرياتيك الذى تمتلك كرواتيا اغلب شواطئه. كرواتيا الكاثوليكية لاقت دعما ضخما من الفاتيكان بمواجهة صربيا الارثوذكسية. كان فى ذلك تفسيرا امنياً لدعم غرب اوروبا لكرواتيا. شذ عن ذلك اليونان الارثوذكسية التى لجأت ومعها توليفة متباينة تضم روسيا ورومانيا الارثوذكسيتين الى تفهم ان لم يكن تأييد صربيا. الموقف اليونانى يفسره اكثر مخاوف اثينا التى نشأت بعد اعلان جمهورية مقدونيا الاستقلال وتهديد ذلك للامن القومى اليونانى.

هذا هو ملخص الموقف الذى يمسك بخناق الازمة ويزيدها توترا مع مرور الوقت. ادركت وانا فى طريقى الى بلجراد اننى فى الطريق الى عاصمة صربيا وليس الى عاصمة يوغوسلافيا التى ظهر واضحا ان عقدها ينفرط دون ان تملك إلتقاط حباته المتناثرة او جمهورياته التى آثرت الانفصال.

مطار بلجراد

وصلت مطار بلجراد قادما من باريس والعام ١٩٩١ يتنفس ساعاتـه الأخيرة والشـارع يعيش أجواء أعياد الميلاد المشوبة بقليل من أحزان الحرب وهمومها.

الخريطة اليوغسلافية مكونة من ست جمهوريات، ثلاث منهـا تمثل المفـاتيح الـرئيسيـة لفهم الموقف بشكل يسمح بالتعميم على سائر ملامح وتضاريس الخريطـة التى تـودع التـاريخ. أعنى بذلك صربيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك فى بلجراد ورثوا حلم الدولة الاتحادية التى ظلت تغطى بشكل أو بآخر هيمنة صربية على صناعة القرار . فى زغرب أجمع الشارع على خيار الحديد والنـار للانسلاخ عن الجسد الاتحادى والاكتفاء بحـدود الجمهـوريـة الكـرواتيـة. فى سراييفـو تشبثت القيادة ومعها الشعب بخيار السلام كسمة تاريخية للتعايش فى جمهورية البوسنـة التى تعـرف أقليات دينية ضخمة.

استهللت جولتى ذات الاتجاهات الثلاثـة بـادئا ببلغـراد أتحسس ذلك السطح السـاخن الـذى يموج بالانفعالات والاحباطات والاصرار. بلجراد يناير ١٩٩٢ تعيش بالفعل حكاية أو قصـة ذات واقعين مختلفين، واقع الانتماء الفيدرالى السائد رسميا باعتبارها عاصمة اتحاديـة للـدولـة التى أرساها تيتو وفجرتها حقائق التاريخ، وواقع الانتماء الدينى والعرقى كعاصمة لجمهورية صربيا الارثوذكسية، وهو الشعور الموجود فى الشارع وكرسته الحرب الدائرة على الحدود مع كرواتيا.

الرحلة من بلجراد الى زغرب.. من صربيا الى كرواتيا، لم تعد رحلة داخل الوطن، بل رحلة تبدأ من يوغسلافيا وتصل الى المجر وتنتهى فى يوغسلافيا، فليس هناك ثمة وسيلة للاتصـال المبـاشر على مستوى المواصلات وأيضا البشر تحت واقع الثارات والدم وواقع الدين والجغـرافيـا والتـاريخ. الأزمة مع كرواتيا ليست اللغم الوحيد الموجود خارج الحدود أو على الحافة الصربية، الغام الداخل عديدة أبرزها اقليم كوسوفو حيث تعيش أغلبية من المسلمين تعدادها نحـو مليـونى شخص من أصول ألبانية . فأجواء الحرب الصامتة تخيم على الاقليم الذى يخلو تقريباً من المصـانع ويتنفس فقرا ويرقد فوق مناجم الفحم ويختال بزراعاته الوفيرة. كوسوفـو لغم الـداخل لايعـرف اختراع الشوارع المرصوفة إلا ذلك الشارع الممتد عبر أراضيه ضمن شبكـة المواصـلات اليـوغسـلافيـة السريعة، وبعض الشوارع الاخرى .

كوسوفو يوغسلافيا صورة اخرى لألبانيا اوروبـا . كـلاهما الأفقـر داخل محيطـه الجغـرافى، وكريشتينا العاصمة شاهد على حالة الترقب والتوجس تجاه بلجراد . اعدامات تطال المسلمين على الوزن والقافية الشرق أوسطية، «تم ضبط تنظيم ارهابى سرى فى كوسـوفـو يخطط لقلب نظـام الحكم» ثم تجىء المحاكمة اياها، وغالبا ما تتم بطريقة «تنظيم.. فمحاكمة صورية.. فاعدام» دون أن يسمع العـالم شيئـا.. لا منظمات حقـوق الانسـان ولا الأمم المتحـدة.. ربما لايسمعـون أو لايريدون السماع!

الواقع الصربى ممزق بين رغبة حقيقية فى الابقاء على يوغسلافيا كصيغة جامعة لكل الجغرافيـا والبشر المنتمين للعلم ذى الألوان الأحمر والأبيض والأزرق والنجمة . واقع يشعر بمرارة شديـدة

من الانقلاب الكرواتي بتاريخه المتعاطف مع ألمانيا النازية. ودولة كرواتيا التى اقيمت وقت الحرب العالمية الثانية مؤيدة وداعمة للزعيم الالمانى ادولف هتلر . عادت أخيرا ظاهرة الحزب السياسى المسلح حتى أسنانه . ظهرت مجددا ميليشيات الاوستاش الكرواتية الدموية التى اختلفت حتى مع الرئيس فرانيو تودجمان. فى المقابل ظهرت مثيلتها الصربية التشتنيك تمثل الاثنتان عصبا رئيسيا فى البنية العسكرية للجمهوريتين خاصة كرواتيا. الصرب من جهتهم يعتبرون عودة الاوستاش عودة للنزعة النازية ويؤكدون ذلك بالاهمية القصوى التى توليها ألمانيا ـ حتى فى غير ظل النازية ـ لانفصال أو استقلال كرواتيا.

الصرب الأقرب الى الشرقيين بايجابياتهم وسلبياتهم يفتخرون بأنفسهم بمواجهة اتهامات كرواتية لهم بالكسل والتخلف. يتمتعون بروح الدعابة ومنفتحون وأصحاب تاريخ قديم وعلاقات دبلوماسية بين مملكتهم فى بداية القرن وبعض الدول العربية . يعتبرون أنفسهم حماة المشروع اليوغسلافى الاتحادى رغم انقلابهم على زعيم التوجه جوزيف بروز تيتو الذى نزعت صورته من الوزارات والجهات الرسمية فى العاصمة وبقيت فقط فى مطاعم المسلمين القليلة ببلجراد.

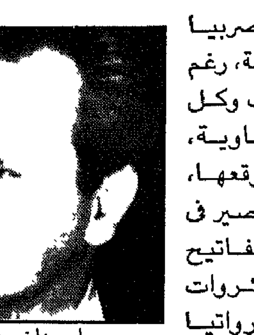
اصدقاء الأمس المستشارون.. المعاونون، دعوا لنقل قبره الى كرواتيا التى رفضت ـ بدورها ـ استقبال أحد ابنائها الذى غادرها حيا وخسرها ميتا. وسط الصراعات بين الغريمين ظهر بعض المتفائلين بعودة المياه الى مجاريها. انتى ماركوفيتش الملقب بجورباتشوف يوغسلافيا، سعى حتى اللحظة الأخيرة وأجرى اصلاحات اقتصادية حققت نتائج طيبة، لكن الصرب خذلوه بالأطماع السياسية، وتخلى عنه الكروات بالانفصال. سقط وحيدا منبوذا من الجانبين ومع مرور الوقت وتوالى الاعتراف بكرواتيا وغيرها اتسعت الهوة وتباعدت المسافات بين المواقف الصربية والكرواتية وظل الاقتصاد أحد الرهانات الباقية للاحتفاظ بالحد الأدنى من التزامات الجوار . اذ تشير الاحصائيات الى اجمالى ديون مستحقة على الجميع ـ اتحاديين وانفصاليين ـ قيمتها ٢٥ مليار دولار. ويثور تساؤل كبير لدى الدبلوماسيين الأجانب فى بلجراد حول كيفية التسديد . هناك اجماع على أهمية اشتراك الجميع فى تسديد الديون، فالمشكلة تكمن فى الامكانية والكيفية . امكانية التزام بلد تستنزفه الحرب بدفع هذا المبلغ الضخم، وكيفية مشاركة الأخوة الأعداء فى تحمل المسئولية والأقساط وبأى نسبة . وهناك سؤال آخر يطرح لدى السياسيين الصرب وأيضا الكروات حول التعويضات التى يجب دفعها عن ممتلكات اللاجئين من الجانبين.

الحقبة السيئة

تتذكر بلجراد جيدا الحقبة السيئة السمعة فى تاريخ زغرب، يقول الصرب ان «جمهورية كرواتيا الحرة» التى أعلنت بتأثير ألمانيا النازية شهدت ابادة جسدية ضد الصرب . ففى معسكر واحد بمدينة ياسنو فاس تم قتل أكثر من ٣٠٠ ألف صربى ويهودى وغجرى «سجوينار» وآخرين ويؤكدون ان هذه الأخطار قائمة حاليا بفعل النزعة الكرواتية العنصرية. فالصراع ـ من وجهة نظرهم ـ يتم بين السلطة الكرواتية والشعب الصربى، ويسمونه ارهاب السلطة الكرواتية ضد الشعب الصربى الذى يعيش داخل حدود كرواتيا ويتمثل فى الهجوم ضد القرى الصربية بقذائف الـ ١٢٠ ملليمتر، وذبح السكان، وعندما يتحرك الفلاحون الصرب داخل كرواتيا فانهم يتحركون للدفاع عن أنفسهم . الأكثر من ذلك انهم ينفون أية مساعدة عسكرية اتحادية للشرطة الصربية فى

كرواتيا، وانما يقتصر أمر المساعدة فقط على الطعام والمال والمواد الطبية.

المسئولون الصرب يواصلون شرح موقف صربيا أو موقف يوغسلافيا الاتحادية الآيلة للزوال ويقولون انهم لايعارضون حق تقرير المصير للشعب الكرواتى وليس لديهم مانع فى اقامة دولته الوطنية والابتعاد عن يوغسلافيا، كل ما هنالك انه يجب ألا يأخذ الكروات معهم جزءا من الشعب الصربى الذى اختار الصيغة الاتحادية. ويواصل المسئولون عرض أدلتهم قائلين ان منطقة كراينى ـ على سبيل المثال ـ الواقعة داخل كرواتيا ترغب فى أن تكون جزءا من صربيا أو يوغسلافيا، يردون على اتهامهم بالسعى لتأسيس صربيا على حساب الآخرين بأن صربيا تعمل على استمرار يوغسلافيا ومواجهة الانهيار. ويتصدون بالرفض لمطالب الألبان فى كوسوفو بالاستقلال عن يوغسلافيا، باعتبار ان الشعب فى كوسوفو يمثل أقلية قومية البانية وهذا وحده غير كاف للاستقلال، فلا يوجد التزام من الأمم المتحدة أو مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبى أو من أى جهة اخرى يشير الى حق أقلية فى اقامة دولة خاصة بها، واذا ما حدث ذلك فى تكساس، فان المكسيكيين على الحدود الأمريكية ـ المكسيكية سيطالبون بضم جزء من تكساس للمكسيك، وهو أمر غير لائق بالتأكيد سواء كان فى الولايات المتحدة أو يوغسلافيا.


سلوبودان ميلوسيفيتش

سلوبودان ميلوسيفيتش الذى ارتبط اسمه بقيادة صربيا وقت الأزمة لايعتبر الكروات فى البوسنة والهرسك أقلية، رغم انهم يشكلون ١٥٪ من اجمالى السكان، فهم شعب وكل الشعوب اليوغسلافية داخل الاتحاد تتمتع بحقوق متساوية، لذلك لايمكن اعتبار أى منها أقلية مهما كان حجمها وموقعها، وهل يتناقض هذا الموقف مع موافقته على حق تقرير المصير فى كرواتيا؟! يقول: فى هذه الرحلة السريعة داخل عقل أهم مفاتيح الأزمة (اليوغسلافية) ان حق تقرير المصير مكفول للكروات وليس المقصود من ذلك الحدود الادارية لجمهورية كرواتيا التى لم تكن دولة داخل هذه الحدود وسط غبار الأزمة استكشف بعض ملامح التحرك الصربى المغلف برداء الشرعية الدولية والمواثيق والمعاهدات، فهموا مبكرا القرار اليهودى النافذ فى كبريات عواصم العالم، ربما كان التقارب مع اسرائيل ورقة رابحة فى معركة دامية.. معركة بقاء وحفاظ على الدولة، هذه الرؤية قد تفسر التلهف الصربى كما الاسرائيلى على اعادة العلاقات بين الجانبين، تحركت اسرائيل والتقطت الخيوط المناسبة للبدء مع مختلف الفرقاء كل حسب طاقته وحاجته وأمانيه السياسية، ذهب وزير الاسكان السابق اريل شارون الى بلجراد، وتم التعاقد مع شركتين كبيرتين لاقامة مساكن جديدة فى الأراضى العربية المحتلة لاستقبال المهاجرين اليهود، السلاح الاسرائيلى جاهز ـ بطبيعة الحال ـ لمن يقدر على الدفع والدعم، وتحدثت المجلة الشهرية لوزارة الدفاع عن التواجد الملحوظ للسلاح الاسرائيلى فى يد الكروات، واسرائيل تدرك جيدا ان مستحيلات تيتو تحولت الى ممكنات على يد ميلوسيفيتش الصربى وتودجمان الكرواتى.

يحرص اليهود اليوغسلاف على التزام الحياد بمعنى عدم اثارة العداوة مع أى جمهورية

يعيشون بها، وتقلص العدد بالتحديد فى جمهورية كرواتيا عندما هربوا منها الى فلسطين وقت قيام «جمهورية كرواتيا الحرة» الشائع . انهم لايرسلون ابناءهم للحرب فى مختلف الجبهات. احيانا تحدث بعض التصرفات هنا أو هناك على مستوى فردى وقد شاهدت فى جبهة الحرب بمدينة كارلوفاتس ـ حيث تدور المعارك ـ راية عليها نجمة داود كتعبير عن التضامن من قبل الأقلية اليهودية مع الأغلبية الكرواتية.

نازى الأمس يختلف عن نازى اليوم ـ على الأقل ـ فيما يتعلق بالمسألة اليهودية وعمليات التخريب السياسى والاقتصادى للوطن من الداخل، العقيد دراجان قائد الاوستاش الكروات يتهمه الصرب بالنازية. ثائر على الجميع حتى القيادة السياسية الكرواتية التى اضطرت لاعتقاله قاتل وقواته بضراوة فى مدينة فوكوفار، ولم تسقط الا بعد انسحابه منها، وكسب تعاطف الشارع الكرواتى وقدم نفسه كرمز وطنى يدافع عن تاريخ كرواتيا . ادى ذلك الى اهتزاز صورة الرئيس توجمان الذى يتهم بالتردد والتأخر فى حسم الموقف مع الصرب.

هناك أزمة من نوع آخر مرشحة للاندلاع بعد أن تضع الحرب أوزارها، فالمعتقد ان اسرائيل ستتحرك للحصول على تعويضات من كرواتيا عن ممتلكات اليهود الذين هاجروا هربا من «جمهورية كرواتيا الحرة» لكن المصدر ذاته يرى ان تل أبيب ايضا تعصر يوغسلافيا عصرا لصالحها، لذلك انتزعت الاعتراف من صربيا أو يوغسلافيا، وأهم دلالات الاعتراف المغزى السياسى والعميق باعتبار ان يوغسلافيا أحد مؤسسى حركة عدم الانحياز.

اللغم الثانى

اللغم الثانى ألبانى الهيئة والمضمون، فقد ظل الألبان المسلمون على مدى سنوات الاتحاد اليوغسلافى يعانون الحرمان والاضطهاد والفقر، نسبة غالبة من رجالهم يعملون بالخارج للحصول على لقمة العيش، والدخول الى حدود كوسوفو يعنى خروجا من الحدود اليوغسلافية الى العالم الثالث بكل مآسيه ومعاناته. تقدم هذا الاقليم الزراعى الغنى بالفحم مؤخرا للمجموعة الاوروبية بطلب للاعتراف حمل توقيع ابراهيم روجوفا رئيس حزب كوسوفو الديمقراطى.. الاحصائيات الدقيقة تذكر ان عدد سكان كوسوفو الاجمالى يبلغ ٢ر٢ مليون نسمة بينهم ٩٠٪ ألبان ينقسمون الى ٨٢٪ مسلمين و ٨٪ كاثوليك، ويشكل الصرب نسبة العشرة فى المائة المتبقية، انتهاك حقوق الانسان له مظاهر عدة بينها الطرد من الوظائف وهناك نسبة ٨٥٪ من السكان الألبان المحرومين من حق العمل لدى الحكومة، واتخذت الحكومة الصربية ـ التى تضم أقليم كوسوفو ـ قرارا منذ حوالى عام يمنع التدريس باللغة الألبانية، مما اضطر التلاميذ والطلاب الى البقاء فى منازلهم عدا قلة قليلة جدا واصلت الدراسة باللغة الصرب ـ كرواتية أو اللغة القومية التى لايجيدها الألبان.

الشائع ان الألبانى الذى يعيش فى صربيا أو كرواتيا يعرف من لكنته وعدم اجادته اللغة الصرب ـ كرواتية، وجد الآباء حلا لابنائهم فى الشتات سواء داخل الوطن فى البوسنة والهرسك وكرواتيا أو خارج يوغوسلافيا بالالتحاق بالمدارس الألبانية، والمعروف ان المهاجرين الألبان فى الخارج منظمون بشكل جيد جدا وأصحاب نفوذ فى دول المهجر، والمواطنون الألبان يشكلون العمود

الفقرى للأعمال الدنيا فى الجمهوريات اليوغسـلافيـة الاخـرى فهم يشتغلـون فى أعمال القمامـة ومسح الأحذية وحراسة السيارات، لقد أدت المظاهرات داخل كوسوفو الى اعدامات راح ضحيتهـا عدد كبير من المسلمين، وفى خارج يوغسلافيا أفرزت حرجا للحكومة الصربية دون أن يغير ذلك من الأمر شيئا، والألبانى ينظر للغة اليوغسلافية كلغة أجنبية، وهو شديد الاعتـداد بقـوميتـه ودولـة ألبانيا، وعادة ما تظهر على التحرك السياسى للشارع فى كوسوفو بصمة الدولة الألبانية، ويعتقـد ان النزعة القومية فى الاقليم تحتل المرتبـة الأولى قبل الـدين، هـذا اللبس ربما جـاء نتيجـة لحملـة التجهيل التى قادها الحزب الشيوعى اليوغسلافى على مدى عقود طويلة. تعتبر صربيا كـوسـوفـو جزءا لايتجزأ من صربيا بالأمس القريب. ووفقا للدستور كـان ابنـاء الاقليم ينتخبـون ممثليهم فى البرلمان المحلى، الآن توقف كل شيء وانتهى هذا الشكل من أشكال المشـاركـة فى الحكم، وقـد ظلت كوسوفو جزءا من ألبانيا الى أن الحقها مؤتمر لندن بعد الحرب العالمية الثانية بدولة يوغسـلافيـا، وتعرضت البوسنة والهرسك المسلمة لنفس المشكلة فى فترة سـابقـة من القـرن الماضى بمقتضى معاهدة برلين ـ القسطنطينية. كانت حدود الجمهورية تمتد الى نصف الجبل الأسود وكامل منطقة السنجق، وكذلك تقلص ساحلها على بحر الأدرياتيك الى ٢٦ كيلومترا فقط بموجب اتفاقيات ما بعد الحرب العالمية الثانية.

عمدت صربيا الى اعطاء حوافز للصرب الراغبين فى العمل بكوسوفو مثل بدلات السفر والاقـامـة، لتغيير التركيبة السكانية للأقليم على حساب المسلمين، وضمن حملتهـا الأخيرة التى شملت الغـاء انتخابات الممثلين الألبان فى البرلمان المحلى، اطلقت عليهم تسمية جديـدة هى الـ «شيبتر» لم تعـد تعترف بتسمية الألبان. أما سكان الاقليم المتأثرون بألبانيا حتى النخاع فظلوا يعكسـون توجهـات الحزب الشيوعى الألبانى، وبعد الانفراج النسبى والتحولات فى ألبانيا على حساب الحزب الشيوعى الحاكم شهدت كوسوفـو رواجـا لنفس الخط. فى كل الأحـوال لم يغير ذلك شيئـا من سيـاسـات بلجراد، فقد عرفت شوارع كوسوفو مشهد الدبابات عام ١٩٨٢ حينما طالب ابناء الاقليم بـالحكم الذاتى، واليوم تتواصل حالة ارهاب الدولة بأشكال مختلفة، ويتردد فى كوسوفـو ان الاقليم راغب فى الالتحاق بألبانيا اذا ما تفككت يوغسلافيا بالكامل، وفى الصيغة الكونفدراليـة ضمن منظـومـة تضم الجمهوريات التى تختارها كوسوفو، آخر حلقات التوتر اتهامات صربية بالقبض على تنظيم ارهابى بنفس السيناريو «إياه» بينما يعرض التليفزيون الأسلحة المستخـدمـة واعتقـالات شملت عشرين شخصا.

كل هذه العناصر القديمة والجديـدة تصنع واقعـا بـالغ التعقيـد يصعب معـه تـوقع احتمالات المستقبل، لذلك يسود اعتقاد بأن الصراع بين بلجراد وزغـرب الـذى يسير فى خط متـواز مع صراع بلجراد ـ سراييفو تكتمل حلقاته بصراع بلجراد كرشتينا، واذا كان الخطان الأول والثـانى يمتـدان الى خارج حدود جمهورية صربيا، فان خطورة الخط الثالث انه يقع داخل الحدود.. حدود صربيـا التى تصارع فى كل الجبهات.

حقيقة الجوار

دخلت ألمانيا النزاع وكأنها طرف معنى بالأمر مباشرة ضد صربيا وقـوفـا مع كـرواتيـا فى نفس الخندق، دولة ثانية آثرت المواجهة أيضا لصالح كرواتيا ـ وان كان بدرجة أقل ـ هى المجر. تبادلت

وصربيا الاتهامات، وساد التوتر، حـالـة من الارتيـاح كست بـودابست على المستـويين الـرسمى والشـعبى لتدشين جمهورية كرواتيا المستقلة وخروجها من تحت العباءة الصربية ـ اليوغسلافية.

يعود هذا الارتياح الى عوامل تاريخية قديمة صنعتها حقيقة الجوار الجغرافى، فقد ظلت كرواتيـا جزءا من الامبراطورية النمساوية ـ المجرية حتى عام ١٩١٨، ولم تعرف اسم يوغسلافيا الا عـام ١٩٢٩، لم يخف الصرف استياءهم من الموقف المجرى الداعم لكـرواتيـا مشيرين فى ذلك الى تلقى الأخيرة دعما عسكريا من بودابست مما أجج نـار الحرب المشتعلـة، يـرد المجـريـون مـوضحين حرصهم على عدم التدخل فى شئون الغير واقتصار الأمر على المساعدات الانســانيـة فقط. تـؤوى نحو ٣٥ ألف لاجىء كـرواتى يقيم معظمهم فى مخيمات، بينما يقيم نحـو ٦ الاف لـدى أقـاربهم ويشكل هؤلاء عبئـا على الاقتصـاد المجـرى الـذى يعيش أصـلا حـالـة معـانـاة وتضخم يطيح بالامكانيات المتواضعة لرجل الشارع يضاف الى هؤلاء ٤٥ ألف رومانى لجأوا الى المجر هـربـا من الظروف الاقتصادية الأكثر صعوبة التى تعانى منها رومانيا.

ويلاحظ المسافر فى محطة القطارات الرئيسيـة فى بـودابست ان الحرب فى يـوغسـلافيـا تلقى بظلالها على حركة المسافرين فقد تحولت العاصمة المجرية الى محطـة تـرانـزيت للفـرز العـرقى ،الطائفى، الصرب الارثوذكس الفارون من الجحيم الكرواتى، يسافرون باتجاه زغرب ـ بودابست ـ بلجراد، والكروات الكاثوليك الفارون من الجحيم الصربى يسافرون باتجاه بلجراد ـ بودابست ـ زغرب لم يعد السفر من الوطن الى الوطن عبر الوطن ممكنـا، فقـد قطعت الحرب أوصـال الـوهم الفيدرالى، انقطعت المواصلات، ووقف الجيشـان حائلا دون حركة العبور، أصبح المرور عبر المجر المتاخمة لحدود جمهوريتى صربيا وكرواتيا ضرورة لامفر منها.

فى القطار من بلجراد الى بودابست تعـرفت على أم صربيـة يـرقـد وحيـدهـا الجنـدى مهنـدس الالكترونيات فى المستشفى نتيجة اصـابتـه بشظـايـا صـاروخ طـالت المخ وكل الجزء الأيمن من جسده، تنتقل بالقطار مرتين كل اسبوع لتزوره ومعها خطيبتـه فى مـدينـة مجاورة داخل حـدود صربيا، وفى محطة بودابست كانت المأساة ذات وجه آخر، زوجة كرواتية وصلت من صربيا وحيدة تاركة زوجها الصربى هنـاك كى تستقـر هى فى كـرواتيـا لاتعـرف كيف والى أين يمكن أن تنتهى المأساة، فهما غير قادرين على العيش فى صربيا فتتعرض الزوجـة للمشـاكل، ولا هما قـادران على الحياة فى كرواتيا فيلاقى الزوج المشاكل، تؤكد ان الحل فى البحث عن بلد «ثـالث». عشرات الالاف من الزيجات المختلطة بين الصرب والكروات تعيش حالة من الهلع الاجتماعى ومصيرا تلفه الغيوم، رغم ذلك فان الاتجاه السائد فى الشارع الصربى يلخصه أحد ركاب رحلـة بلجـراد ـ بـودابست ـ زغرب بقوله «لانريدهم فى الاتحاد وكفانا المشاكل التى جلبوها لنا» أما الكروات فالسؤال عن رأيهم لايعنى لديهم الكثير، حيث سبق السيف الصيغة الفيدراليـة وأعلنت الـدولـة المستقلـة واكتسبت الاعتراف من دول عديدة.

وسط حمى النعـرات القـوميـة التى يتراجع فى ظلهـا العقل وكـذلك القـانـون يبقى الاقتصـاد بحساباته التى لاتخيب، يطل الاقتصـاد بـرأسـه عبر الصيغـة الفيـدراليـة على طـريقـة الـزعيم اليوغسلافى جوزيف بروز تيتو، فقد عمد وبـدأب واضح الى ربط القـوميـات خـاصـة الصربيـة

والكرواتية بواسطة اقتصاد متكامل يقوم بعضه على بعض، ما ينتج هناك يصدر الى هنا، وما ينتج هنا يصدر الى هناك، بل ان مصانع كاملة فى جمهوريات مختلفة يقوم كل منها بانتاج أجزاء متخصصة يتم تجميعها كمنتج واحد فى النهاية، هذه الصيغة من العلاقات الاقتصادية مازالت قائمة تحت سحب دخان المعارك ووسط رائحة البارود وحمامات الدم.

على المستوى الدستورى يبدو الصرب مصرين حتى الرمق الأخير من أجل الحفاظ على شكل الدولة الاتحادية، فمجلس الرئاسة أعلى سلطة فى البلاد لم يعد اتحاديا من الناحية الواقعية، صحيح انه ينعقد ويصدر القرارات ويحاول اضفاء الشرعية على تحرك الجيش الصربى، لكنه لايستند الى شرعية حقيقية فى كل هذه الخطوات، المجلس يتكون رسميا من ثمانية أعضاء يتعاقبون على منصب الرئيس، ويمثل سائر الجمهوريات الاتحادية، هناك ممثل عن كل من البوسنة والهرسك وسلوفينيا، وكرواتيا، ومقدونيا، وكلهم يطالبون ويحاولون تحويل الاستقلال والانفصال الى حقيقة، لذلك امتنع الجميع عن حضور ممثليهم فى مجلس الرئاسة، وبقى أربعة أعضاء منهم ثلاثة عن صربيا وواحد عن الجبل الأسود التى تتبع عادة مواقف صربيا، وتمثل الجبل الأسود ـ الجمهورية الوحيدة التى لم تطالب بالاستقلال حتى الآن ـ أهمية قصوى لصربيا نظرا لأنها تضم ميناء بار الضخم الذى يمثل منفذا بحريا حيويا للصرب لايمكن الاستغناء عنه خاصة فى الظروف الحالية.

التصدى.. المواجهة

يلخص الكروات صراعهم مع الصرب فى امرين اساسيين. اولا: التصدى لمحاولات اعادة تأسيس دولة صربيا الكبرى على حساب كرواتيا وغيرها من الجمهوريات. ثانيا: المواجهة بين قيادة شيوعية صربية اشعلت نار الحرب وليبرالية كرواتية صاعدة تبحث عن الاستقلال.

يشير الكروات الى «النهج التوسعى الصربى» وابرز مظاهره الغاء الحكم الذاتى لاقليم كوسوفو الواقع داخل جمهورية صربيا وضمه الى دولة صربيا. بذلك اعيد تشكيل الحدود الداخلية ليوغسلافيا فى انتهاك للواقع الذى اقره «المجلس المعادى للفاشية» اثناء الحرب العالمية الثانية. اضافة الى ذلك اعلن ضم جمهورية الجبل الاسود وهى فى الاصل جمهورية تتمتع بالاستقلال الذاتى داخل النظام اليوغسلافى الاتحادى. وتشكل الجبل الاسود حاليا اهمية قصوى لصربيا حيث توفر لها المنفذ البحرى الوحيد، ميناء بار. تتواصل الحجج الكرواتية استنادا الى عنصر الزمن والتوقيت فى التطورات المأساوية التى تدور على ارض يوغسلافيا سابقا فقد تزامنت تحركات بلجراد لتأسيس صربيا الكبرى مع التحولات الضخمة التى سادت اوروبا الشرقية.

وبينما اتجهت مجموعة الدول الاشتراكية سباقا الى تبنى النظام الرأسمالى، اتجهت بلجراد لتأسيس صربيا الكبرى التى عرفها التاريخ فى فترات سابقة.

يؤكد الكروات تعثر عجلة التنمية فى صربيا وانتشار العجز فى الجسد الاقتصادى بسبب تبنى الاشتراكية او الشيوعية. يبرهنون على معاناة الاقلية بالمستوى المعيشى المتردى لكل من كوسوفو ذات الاغلبية المسلمة والجبل الاسود. فى الوقت ذاته يوضحون ان الاقلية الصربية تتمتع بالامان فى كرواتيا عكس الاقلية الكرواتية فى صربيا، وتذكر فيسنا شكاره المتحدثة باسم رئاسة الجمهورية الكرواتية ان الصرب يشكلون اغلبية فى ١١ مدينة كرواتية هى: بينكوفاتشى، ودونى لاباتش،

ودفور، وجلينا، وجراتشاس، وكنين، وكوستانيتشا، واوبروفاتش، وتورنيتشا، وفوجنيك، وفرجينهوست.

اقل مستويات الاغلبية تقع فى مدينة بينكوفاتش بنسبة ٤ر٥٧، واعلاها في مدينة دوني لاباتش بنسبة ٤ر٩٧٪.

تبلغ المساحة الاجمالية لكرواتيا ٥٣٨ر٥٦ الف كيلومتر مربع، ويسكنها ٧٦٠ر٤ مليون نسمة، يعيش ٥٦٠ من هؤلاء في المدن، وتستأثر العاصمة زغرب بعشرين فى المائة من اجمالي السكان يقطن ٨٠٪ من الكروات● فى كرواتيا، و٢٠٪ خارجها اغلبهم فى جمهورية البوسنة والهرسك المسلمة، يبلغ مجموع غير الكروات فى كرواتيا ٧٦٠ الف نسمة يشكلون نحو ٩ر١٥٪ من السكان، يمثل الصرب ٩ر١٢٪، و١٪ من البوسنة والهرسك، و٥ر٠٪ لكل من المجريين والسلوفينيين، و٤ر٠٪ ايطاليين، و٣ر٠ لكل من الالبان والقوقان، و٨ر٠٪ لاقليات اخرى من بينها الغجر. تذكر فيسنا شكاره ايضا ان بلجراد استغلت حوالي ٢٪ من الاقلية الصربية لاشعال الحرب فى كرواتيا. تمثل هذه النسبة العسكرية واسرهم الذين شكلوا رأس الحربة للجهد الحربى الصربي فى كرواتيا، بقية النسبة من الاقلية الصربية وتقدر بـ ١٠٪ تعيش فى كرواتيا دون اية مشاكل.

تظهر الوثائق الكرواتية ان القرن العاشر شهد مملكة كرواتية متاخمة لصربيا وبلغاريا. فى القرن الرابع عشر . اظهرت نفس الوثائق وجود كرواتيا وصربيا كيانين منفصلين تقع بينهما البوسنة، وتشير خرائط عام ١٨٤٨ الى وجود بلجراد من جهة وكرواتيا من جهة اخري تفصل بينهما اجزاء من الدولة العثمانية ، ثم بدت على الخريطة مملكة يوغسلافيا التى تضم الغريمين صربيا وكرواتيا. الصراع الدائر عجلت بتفجيره البريسترويكا التى اطاحت حتى بمخترعها ميخائيل جورباتشوف، تجسدت ملامحه على نحو واضح وملموس فى بدايات عام ١٩٩٠، يرى المسئولون الكروات ان الانتخابات الحرة فى الجمهورية التى اطاحت بالحزب الشيوعى، فجرت غضبا حقيقيا لدى الحزب فى صربيا تبلورت المواجهة بين نظام شمولي فى بلجراد وآخر تعددى فى زغرب. فى مايو ١٩٩٠ مع ظهور الاحزاب عام ١٩٨٩، تمكن اقواها واكثرها شعبية حزب الاتحاد الديمقراطى الكرواتى (هدز) من اكتساح الانتخابات البرلمانية، حصل على ٢٠٥ مقاعد من الاجمالى البالغ ٣٥٠ مقعدا.

دخل الاتحاد الديمقراطى فى ائتلاف مع عدد من الاحزاب لتشكيل الحكومة، اهمها الشيوعي والاحرار والوطن،.

يفتخر الكروات ان لديهم وزيرا من الاقلية الصربية هو جيفكويوزبازيتش. كما ان نائب رئيس الوزراء زرافكوتوماتس من الحزب الشيوعي رغم ان انتخابات مايو ١٩٩٠ وضعت نهاية فعلية للهيمنة الكاملة للحزب الشيوعى، الا انه حصل على نسبة جيدة من الاصوات انعكست على التشكيل الوزارى وتركيبة الائتلاف، الرؤية الكرواتية تذهب الى ان نفس الفترة شهدت توجها صربيا قاده سلوبدوان ميلوسوفيتش●● لتأسيس الدولة الكبرى فى عكس الاتجاه السائد فى القارة نحو «النظام الاوروبى الجديد» كما يسميه الكروات، لا يخفي هؤلاء طبيعة انتمائهم

● في يوغسلافيا (سابقا).
●● رئيس جمهورية صربيا آنذاك

السياسى فى المرحلة الجديدة التى حسمت لصالح دولة الوحدة الاوروبية. ويراهن الساسة الكروات على اهمية تنظيم علاقة خاصة بغربى اوروبا بشكل او بآخر. يرون انها المجال الحيوى لكرواتيا سياسيا واقتصاديا. وليس من قبيل المصادفة ارتفاع علم اوروبا الموحدة اللبنى اللون بنجماته الاثنتى عشرة الى جوار علم كرواتيا فى كل انحاء زغرب. ويتولد لدى الزائر ايحاء قوى بان الكروات يتمنون لو كانت النجمة الثالثة عشرة من نصيبهم انهم ينتظرون من اوروبا الكثير لكن الاخيرة تقدر الامور بشكل مختلف فلكل حساباته ومصالحه.

بحار الدم

الشعور السائد فى الشارع الكرواتي - رغم ذلك - مليء بالمرارة تجاه اوروبا التى تركت بحار الدم سائلة فى خطوط المواجهة الممتدة مع الصرب . الاجابة المعتادة عن السؤال التقليدى «هل تعتقد ان اوروبا ستتدخل جديا وان هناك نهاية وشيكة للحرب؟».. «نأمل ذلك رغم فقدان الثقة فى اجمالي الموقف الاوروبى» هكذا يجيب رجل الشارع الذى يعيش اجواء الحرب منذ ١٩٩١. اجولة الرمل والدعامات الخشبية فى الفتحات الارضية للبنايات، اوراق اللصق على الزجاج، اللون الازرق يغطى كشافات السيارات، الجنود المسلحون المجهزون باجهزة الاتصال اللاسلكي يجوبون الشوارع، المجندون يحملون امتعتهم العسكرية متجهين الى مواقع القتال، صفارات الانذار تدوى بين الحين والآخر حتى فى قلب زغرب، انتشار حمى ارتداء المعاطف العسكرية كاحدث صحيات الازياء الكرواتية، انتشار الباعة الجائلين الذين يعرضون البيريهات والشارات العسكرية، بعض المهجرين يقيمون فى فنادق العاصمة وتوزيع (كوبونات) الطعام يتم قبل كل وجبة، لا يبدو ان الشارع مل من طول الانتظار بقدر ما يراوده احساس بالمرارة من الوقوف وحيدا امام الجيش الصربي بامكانياته الضخمة.

فيراسكاتاريتيكو المتحدثة باسم وزارة الاعلام الكرواتية تشرح الهجوم الذى شنه الطيران الصربى على مقر الرئيس فرانيو توجمان فى السابع من اكتوبر . كان فى اجتماع مع القادة السياسيين على مأدبة عشاء وتحركوا الى قاعة الاجتماعات، مرت دقيقتان فقط واغار الطيران الصربى على القاعة المخصصة للطعام، اطلق صاروخين واسقط عدة قنابل، تؤكد سكاتار يتيكو ان معلومات الجيش الصربي كانت دقيقة للغاية وجاء فارق الدقيقتين قدرا، لينجو الرئيس من الموت . الصرب من جهتهم نفوا الاتهام قائلين ان الكروات دبروا الهجوم، ليكسبوا تعاطف العالم مؤكدين عدم تورطهم فى هذا الهجوم. كانت اعمال الترميم على قدم وساق دون ان تخفي بعض الاثار الباقية من الغارة فى شارع اوباتيكا الذي يضم مقر الرئاسة والعديد من المبانى الاثرية، تم ترميم واصلاح معظم الاضرار، لكن تودجمان انتقل منذ الحادث الى فيلا زغريا المقر السابق للرئيس تيتو الذى كان ينزل فيه اثناء اقامته فى كرواتيا مسقط رأسه. يصف احد العسكريين المقر البديل بانه هدف مثالى للطيران المعادي. وتقع فيللا زغريا فى اطراف زغرب على مرتفع عال لا يمنعها من الهجوم الجوى سوى سوء الاحوال الجوية.

الاقامة فى فنادق زغرب تعنى الاختلاط بالمهجرين وسماع صفارات الانذار. وسواء كان الزائر فى فندقه او فى الشارع فلا حديث الا عن السياسة والحرب وآخر التطورات والتحليلات، لا احد يعتقد فى حل عاجل او سحرى، انهم مستعدون للازمة لوقت طويل رغم بعض الازمات فى سلع بعينها،

خاصة الصابون ومواد التجميل، فالوقت او الوضع عموما لا يفرض اهتماما خاصا بالتجميل، ومع ذلك لا تنسى حواء في كرواتيا المساحيق والمستحضرات، الحال تشهد حركة رواج وزحام امام واجهات العرض وحركة تراجع في عدد الزبائن بعض السلع ارتفعت اسعارها الى عشرة امثال الملابس على سبيل المثال ترتفع اسعارها شهريا حوالى ٢٥٪ ، المرتبات ثابتة لا تتحرك تقريبا بمتوسط شهري مقداره ١٠ آلاف دينار. الدولار يساوي نحو ٨٠ دينارا كرواتيا (العملة الجديدة)، فيما يساوي حوالى ٦٠ دينارا يوغسلافيا او صربيا● على الزائر ان يتخلص من اي من العملتين اذا اتجه الى الجمهورية الاخرى لانها ممنوعة من الصرف بامر الحرب، زغرب المدينة السياحية تتنفس عبق التاريخ وبارود القنابل سواء بسواء لا يفصل بينهما الا امل في انتهاء الحرب باسرع وقت لتأتي الانتخابات الرئاسية الجديدة، وتنتعش الحركة السياحية مرة اخرى خاصة على يد الالمان، اكثر العملات الاجنبية رواجا هي المارك واكثر اللغات الاجنبية انتشارا، الالمانية.

اخلص الحلفاء الاجانب المانيا من اجل السياحة والاثار والقيم العليا والمثل النبيلة وايضا من اجل عيون بحر الادرياتيك بسواحله التي تسيل لعاب المانيا، العملاق الاقتصادي الالماني يتثاءب بعد طول ثبات، بعد اعادة وحدة الشطرين وانهيار السور البرليني الخارج على قانون التاريخ، العملاق الاقتصادي الالماني يرمي بعينيه الى خط الافق حيث السياسة والدفاع ايضا، فلا يكفيه ميناء هامبورج، يطمح ان يمتد الى خارج الحدود وربما داخلها - من يدري؟ - ليستنشق النسيم العليل القادم من مياه بحر الادرياتيك. مواطن كرواتي يعلق بقوله «نعرف ان الدعم الالماني لموقفنا يعبر عن مصالح واطماع. ونعرف ايضا اننا قادرون على تبادل المصالح معهم دون ان تتعرض سيادتنا للخطر». وماذا عن موقف فرنسا وانجلترا؟ يستطرد قائلا: «موقف متردد نأسف له، نتمنى من الدولتين التحلي بالشجاعة والتحرك لنجدتنا». يستأذن المواطن كي يبحث عن ملجأ بعد ان اطلقت صفارات الانذار وخلت المدينة التائهة وسط ظلام دامس من المارة وحركة السيارات.

بعيدا عن زغرب وعلى بعد حوالى ٤٠ كيلومترا تقع مدينة كارلوفاتس احدى الساحات الساخنة في الجبهة، يتولى الدفاع عنها خطان قتاليان الاول منضبط من الجيش النظامي الذي كان جزءا من الجيش الاتحادي. مسلح باسلحة دفاعية تكفل له الحفاظ على مواقعه. الصف الثاني من المتطوعين والاحتياط. التسليح الاساسي لديه الكلاشينكوف وبعض العربات المدرعة الخفيفة فضلا عن القنابل اليدوية، مدينة مهجورة تكاد تكون مسكونة بالاشباح، بلا ماء او كهرباء او غاز او تليفون. برد قارص بلا تدفئة، بيوت مهدمة ومحترقة ومهجورة قرب الجبهة تقع معظمها عند خط الدفاع الثاني على بعد خمسمائة متر من الخط الاول وكيلومتر واحد من مواقع الجيش الصربي. المقاتلون المتطوعون يتسمون بطباع الهواة، يمكن ان يستأذن احدهم من الخدمة مؤقتا ليحتسي قدحا من الشاي الذي يسمونه تقريبا بنفس تسمية العربية او التركية «تشاي» . النفس التركي او الاثر العثماني في الواقع اليوغسلافي واضح للعيان ففي كرواتيا «تشاي» وفي صربيا لابد من احتساء القهوة التركي في الصباح واحيانا بدون سكر، اما الشاي المحلي فاسمه ايضا عربي او تركي «نعنع».

● اسعار يناير ١٩٩٢

صــوت المـــدافــع

عودة الى كارلوفاتس التى تعتاد صوت المدافع والصواريخ ارض ـ ارض وصياح الدجاج المنطلق من حظائر الفلاحين بلا صاحب. احد الشباب الكرواتى المطلع بشكل طيب على مشاكلنا فى العالم العربى يقـول: «نحن وايـاكم نـواجـه استعمارا» يعتقـد ان الامل او الحل امـريكى الملامح. «لكن سيروس فانس وزير الخارجية الامريكى السابق يأتى الى يوغسلافيا ممثلا للامم المتحدة؟» يجيب بابتسامة خفيفة «ماذا؟! الامم المتحدة مجرد واجهة تعرض فقط ما تطلبه او تقدمه واشنطن لا امل فى اوروبا فالحل الامريكى قادم فى الطريق». فى الجبهة يعتاد الزائر القصف وهدير المدافع وطلقات الآلي، لكن ظهور الطيران امر غير مرغوب فيه بالتأكيد، هكذا استمتعت بفاصل اخرجنى من حالـة الحيرة التى انتابتنى وانا اتابع هذه الحرب، رفيقى الصحفى الاسبانى القادم من اقليم كاتالـونيـا الذى يعرف ايضا نزعة انفصالية عن الوطن الام، شخصية مرحة محببة لا يمل الانسان صحبتها. تحدث عن اهمية التطير بطريقة «امسك الخشب» . بدا طوال الرحلة مازحـا وحسبتـه كـذلك، لكن الواقع يؤكد انه يؤمن ايمانا حقيقيا بضرورة ان يمسك اى نوع من انـوع الخشب حتى ولـو كـان عود ثقاب، حين اقترب صوت الهليوكبتر المصحوب بانغام المدافع ظهر وجهه كما لـو كـان يـريـد الهروب حتى من عنقه، اختفت احدى درجات لون وجهه، سألت الجنـدى الكـرواتى اى نـوع من الطائرات يعلونا فاجاب بانه كرواتى، استبدل الصديق ريتشارد ملامح الهلع بابتسامتـه المحببـة مرة اخرى.

عند العـودة فى محطـة قطـارات المدينـة، دقت صفـارات الانـذار، نـزل الجميع الى الملجأ مـرت الخامسة وسبع عشرة دقيقة موعد وصول القطار المتجـه الى زغـرب والجميع اسفل مبنى المحطـة سـاعتان وثلاث عشرة دقيقة مرت، ثم نزل موظف المحطة طالبـا من الجميع الصعـود، فقـد اوشك القطار على الوصول بعد زوال الخطر . فى الملجأ شاهدت ريتشارد ممسكا بعود الثقاب اياة الامر ـ اذن ـ لم يكن مزاحا بل ربما عادة اسبانية اصيلة. اعلى رصيف المحطة المشهد مهيب ظـلام مخيم تحطمه فقط الاشارات الحمراء الضـوئيـة للسكك الحديـديـة التى تتنـاثـر على امتـداد النظـر فى الاتجاهين. اكيد.. يجب الا يتمنى الانسان الحرب، لكنها اذا كانت قدرا، يجب الذوبـان فيهـا واداء حقها . يودع الجميع كارلوفاتس وراء ظهورهم ويحطون الرحال مرة اخرى فى زغرب حيث المدينة اقرب الى المدينة المتعارف عليها، حركة وبعض الصخب المزوج احيانا بصفارات الانذار.

ريتشارد بالتجربة والهليوكبتر ليس قلب الاسد، غير ان لديه الشجاعة الكـافيـة ليفسر مـوقف اسبانيا المتردد من الاعتراف بدولة كرواتيا آنذاك. يقول ان مدريد يحكمها عاملان:

١ ـ مشكلة اقليات الباسك والكاتالان لديها، فلا تريد ان تمنح اقليـة اعترافـاحتى لـو كـانت فى يوغسلافيا، كي لا تشجع الانفصاليين الاسبان على التمادى.

٢ ـ التأثير الكبير للحكم الاشتراكى الفرنسى على الحكم الاشتراكى الاسبانى فى قضايا السياسـة الخارجية، لذلك ينعكس تردد باريس على موقف مدريد ترددا وتحفظا.

الساسة الكروات يرون فى السياسة المخرج الوحيد للازمة . يشيرون الى انه ليس لهم قبل بالقوة العسكرية للجيش الاتحادى او الصربى الذى يعد الرابع فى اوروبا . على حـدودهم ٢٠٠٠ دبـابـة

حديثة، و ٣٠٠ طائرة . الدمار الذى لحق ببلـدهـم على ايـدى الجيش الاتحادى، لم يحدث مثلـ الحـربين العالميتين الاولى والثانية . عن تلقى السلاح من المجر والمانيا وغيرهما يقولـون.. «نحر حالة حرب نسعى لاستيراد السلاح باى وسيلة ومن اى طرف للدفاع عن سيادتنا، لا احد يملك يمنعنا من التصرف للحصـول على السـلاح» . ليس لديهم طيران وهو عامل حـاسـم فى اى معـر الهدف السياسى للعمليات العسكريـة الكـرواتيـة دفـاعى، للحفـاظ على الارض. الهدف الصر هجومى، لاحتلال الارض. هكذا يقول الكروات.

وماذا بعد الحرب؟ قبل الاجابة على السؤال ـ يقول الساسة الكروات ـ لابـد من شرح اهـداف وهى ثلاثة:

١ ـ تحطيم الجيش الكرواتى.

٢ ـ هدم المنشآت الاقتصادية

٣ ـ كسر اضلاع المدن

يستخلصـون من ذلك ان الصرب ربما يـدركـون ان مـا اخـذوه من الاراضى الكـرواتي سيضطرون للتخلي عنه مستقبلا. كما انهم يريدون ازالة الرموز الكرواتيـة واخفـاء الشخص الوطنية من الوجود. يبدو المستقبل مشرقا سياسيا باجراء انتخابـات رئاسيـة ومـواصلـة تنذ العملية الديمقراطية التى عطلتها الحرب اقتصاديـا يصعب تصـور تعـويض مـا تهدم على ال القريب، سياحيا هناك آمال كثيرة فى جذب السياح وتوفير مصادر للعملة الصعبـة، خـاصـة كرواتيا كانت تحقق حوالى ٧٠٪ من الدخل السياحى اليوغسلافى. بشريا وقع ١٠ آلاف قتيل و زادوا عن ذلك نظرا لعدم توافر احصائيات دقيقة. يمكن ان تتواصل بـلا انقطـاع اوجـه التعـ الاقتصـادى الكرواتى ـ الصربى. اما البشر.. الناس.. اهالى الضحايا فيصعب ان ينسوا بحر الـ الذى سال بين اخوة الامس، يكفي ان مدينة مثل فوركوفا تهدمت باكملها وتعرض اهلها للتشر والموت . يكفي ان الكروات يسعون لاحياء تاريخ قديم. يكفي ان الصرب يسعون لتكريس تـا قديم. وبين هذا وذاك تشتعل حرب تهدف الى اعادة تشكيل يوغســلافيـا في ظل النظـام الاور الجديد.

السمكة الذهبية

تقول طرفة يوغوسـلافية ان الرؤسـاء الثلاثة لجمهوريات صربيا وكرواتيا والبوسنـة والهر خرجوا فى رحلة لصيـد الاسماك فى احـد الانهار . تمكن احـدهـم من اصطيـاد السمكـة الـذهـ الاسطورية المعروفة بقدرتها على تحقيق الامانى مقابل اعادتها للنهر مرة اخـرى. سـألت السمـ الرئيس الصربى عن امنيتـه، فطلب منها القضاء على اخـر كـرواتـى فى يـوغـوسـلاف وسـألت الرئيس الكرواتـى، فتمنى التخلص من اخـر صربى فى يـوغـوسـلافيـا. ولما جـ الدور على الـرئيس البوسنى قال لها: «اذا تمكنت من تحقيق تلك الامنيتين لن احتاج سـوى ق من القهوة».

هذه الطرفة الشائعة تعكس صعوبة وحساسية موقف جمهورية البـوسنـة والهرسك المسـا بمواجهة جمهورية صربيا الارثوذكسية، وكرواتيا الكاثوليكية . فقد بقي المسلمون زمنـا طـو

محشورين بين الواقع السياسى والجغراف للغريمين التقليديين صربيا وكرواتيا وتشهد البوسنة حاليا فترة حرجة فى تاريخها الحديث تقف بها على اعتاب الاعتراف الدولى بالاستقلال.

اجواء يناير ١٩٩٢ ابرزت على نحو واضح ان المجموعة الاوروبية تتناول مسألة الاعتراف باستقلال البوسنة والهرسك بالكثير من الشك والقليل من الثقة وفيما يلاحظ اندفاعا من اطراف غربية عديدة للاعتراف بالجمهوريات اليوغوسلافية المستقلة، خاصة كرواتيا وسلوفينيا. تأخذ القضية بعدا مختلفا فى حال التعامل مع البوسنة والهرسك. ويظل القاسم المشترك وراء الشك الغربى وهو مخاوف قيام جمهورية اسلامية بوسنوية. يسوق الغربيون تبريرات تعطى هذا القلق وجاهته واهمها تلك التركيبة الطائفية والعرقية للجمهورية التى تضم ٥٠٪ من ابناء المسلمين الذين اختلطوا بالفاتحين العثمانيين.● ولا يتمتع المسلمون فى ظل هذا الوضع بأغلبية مطلقة تعطى قرارهم اولوية آلية. التبرير الثانى هو الموقع الجغراف للبوسنة واهميته اوروبيا، فضلا عن الواقع التاريخى الذى افرز السبب المعلن للحرب العالمية الاولى عندما تم اغتيال الامير النمساوى فرديناند وزوجته ايزابيلا فى العاصمة سراييفو.

الشاعر البوسنوى لديه قناعته المختلفة التى تحتفظ بمسافة كبيرة تفصله عن المعلن الغربى. هذه القناعة تلتقى فى الوقت نفسه مع مايتردد بالفعل فى الدوائر الغربية الحاكمة فبزوغ نجم التوجه الاسلامى بشكل واضح وصريح وتعبير ابناء الجمهورية عن رغبتهم فى اعطاء الاسلام مساحة اوسع فى واقعهم يلقيان الضوء الاحمر من العواصم الغربية الساعية الى تأسيس نظام اوروبى جديد له ملامحه العقائدية غير القابلة للاغفال. الرئيس البوسنوى على عزت بيجوفيتش يؤكد من جهته ان الجمهورية الباحثة عن الاعتراف الاوروبى ـ على وجه التحديد ـ تعتبر جمهورية للمسلمين وليست جمهورية اسلامية، كما انها جمهورية مواطنين وليست اعراقا وطوائف ويدرك الرجل الخارج من غياهب السجون الخصوصية الشديدة لواقع بلاده والعيون الكثيرة المحلقة والمتابعة لكل سنتيمتر مربع فى البوسنة والهرسك.

رجل الشارع.. المواطن المسلم الذى يشكل باجماليه البالغ مليونى نسمة نصف سكان الجمهورية لاتغادر مخيلته ايام مجيدة فى تاريخ البوسنة والهرسك صنعها التواجد العثمانى وتدرك انقرة مدى النفوذ والتأثير المعنوى لها فى البوسنة والهرسك، كما فى بلغاريا حيث الاقلية التركية الضخمة، وكما فى اغلب الجمهوريات المسلمة وسط اسيا او جنوب الاتحاد السوفيتى سابق، انقرة المتلفحة بالعباءة العلمانية تتمتع برصيد هائل وموفور داخل خزانة التاريخ العثمانى الاسلامى. لذلك انطلق منها تصريح ذو طابع دعائى مخض جاء فيه ان تركيا ستقوم بتحطيم بلجراد مقابل تحطيم اى شارع فى سراييفو. العاطفة الاسلامية تضرب بجذور عميقة فى التربة البوسنية. تقول الاشعار الشعبية:

● الاحصائيات الرسمية المعلنة تظهر ان نسبة المسلمين ٨ر٤٣٪ فقط والصرب ٥ر٣١٪ والكروات ٣ر١٧٪ واجمالى عدد السكان ٣ر٤ ملايين نسمة.

البوسنة ارض الدماء
سأحافظ عليك كعينى
انا ابنك
هناك حيث نهر اونا
هناك حيث نهر الدرينا
والسماء الزرقاء
هناك حيث نهر المرينا
تنام الشمس
هناك حيث ينابيع الساوا
اذا جاء الاعداء
سينتظرهم الشهيد المضرج فى دمائه
سيهب من قبره
ليقاومهم من جديد
المساجد ومزار الشهداء.

مقابر الشهداء او «مزار شهيد» كما يطلق عليه البوسنيون نجوم تتلألأ فى باطن ارض الجمهورية فهى تضم الشهداء العثمانيين والبوسنويين الذين خاضوا معارك اسلامية الى جانب العثمانيين بعد ان اهتدوا للاسلام وتعد منظرا شائعا فى المدينة تتواجد عادة فى الحدائق المجاورة للجوامع. وهم يطلقون فى البوسنة تسمية الجامع الا فى حالة وجود مئذنة، والا اطلق عليه تسمية المسجد. فى سراييفو وحدها ٨٠ مسجدا وكان عددها فى السابق ١٥٠ مسجدا لكن تسامح الشيوعيين ونزاهتهم ذهبت بسبعين مسجدا. فى كامل انحاء الجمهورية يوجد ٢٠٠ جامع غير المساجد المنتشرة بالمدن والقرى بالسهول والجبال فى الثلج وتحت الشمس. يضاف الى ذلك المدارس القرآنية التى تقدر بالمئات. من مآسى اهل الحكم الشيوعى فى البوسنة والهرسك انهم حولوا بعض مقابر الشهداء الى دورات للمياه. بعد الانتخابات الحرة التى جرت عام ١٩٩٠ وجاءت بحزب العمل الديمقراطى للحكم نسفت هذه الدورات وبقيت مقابر الشهداء تعانق اشعة الشمس صيفا وترقد تحت الثلج فى بيات طويل يصنعه شتاء قارس وتعانقها عيون المستضعفين المسلوبين من بين صفحات التاريخ الناصع البياض. لم يكن غريبا على الشيوعيين تحويل «مزارات شهداء» الى مراحيض، ولم يكن غريبا ان يسرقوا المقتنيات والتحف الثمينة من مقر رئاسة الجمهورية قبل ان يغادروا على اسنة اصوات الناخبين التى جاءت بعلى عزت بيجوفيتش، رئيسا لاحدى اجمل وابهى الدول الاوروبية.

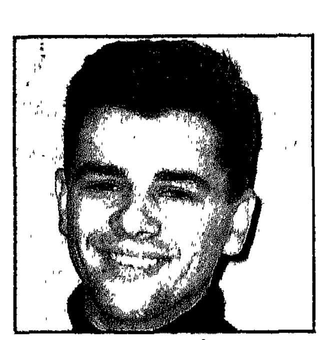
صورة ناصعة

فى عيون ابناء الجمهورية.. توجد صورة ناصعة عنا نحن العرب. وجود انسان عربى وسطهم يعنى وجود احد احفاد الصحابة رضوان الله عليهم.. وجود سلالة علمت الدنيا ونشرت النور فى ربوعها . عربى فى البوسنة يعنى ذكريات صدر الاسلام العطرة. الايمان الحقيقى.. الاخوة.. الشهادة.. فلسطين.. وايضا البوسنة ذاتها صدموا ويصدمون فينا كثيرا

صدمتاهم فى فلسطين ونصدمهم كل يوم تحت وقع انسحاب الاسلام من حياتنا.. تحت وقع الفرقة والبأس مع الاهل فى الداخل واللطف والتسامح مع الخارج. على المستوى الفردى الاجتماعى يتقدم عرب للزواج من بوسنويات. مشروع جيد بتحفظ وحيد، ان يبقى العربى فى الوطن البوسنوى مع زوجته المسلمة ولا يغادرها لماذا؟ لان البوسنويين يعتبرون خروج ابنتهم امرا مستحيلا بل وتجىء الاجابة ناصعة كعيون الشمس من افواه البوسنويات: «لو هجرنا الوطن كيف تستمر وتبقى الذرية المسلمة؟!»

مليكة صالح زوجة على عزت بيجوفيتش رمز لنساء الجمهورية محجبة دخلت السجن مرتين كما زوجها بعد خروجها من السجن للمرة الاولى اتجهت من فورها لاحد ميادين سراييفو وتظاهرت. كان ذلك عام ١٩٨١ حملت لافتة كتب عليها «سنحكم بلادنا بالشريعة الاسلامية». ذهبت للتظاهر فى ساعات معدودة وعادت كذلك للسجن مرة ثانية فى ساعات معدودة وقضت سنوات من عمرها داخل الزنازين وخرجت محمولة على يد ابنها. فقد فقدت ٢٥ كيلوجراما من وزنها قبل ان تنفى الى لندن. تشارك الان من داخل الوطن فى توعية النساء بوسائل الدعوة العديدة.

البوسنة والهرسك تشهد هجرة للعمال الى الجمهوريات« اليوغسلافية » الاخرى او دول اجنبية بحثا عن مصدر محترم للدخل الذى لايتجاوز متوسطه الشهرى ٢٨٠٠ دينار اى نحو ٤٥ دولارا. اما الاسعار فزادت بنسبة ٢٠٠٠٪ اى انها تضاعفت عشرين مرة ويراهن ابناؤها على دفع عجلة التنمية لديهم امال ومشاريع كبيرة لتحقيق قفزات اقتصادية باستغلال موقعهم الجغرافى وخبراتهم المتقدمة فى مجالات مختلفة. من بينها الانشاء والتعمير. والسياحة فى الجمهورية العائدة الى صفحات التاريخ مصدر مهم من مصادر الدخل . فقد ترك العثمانيون وراءهم آثار آية فى الروعة والجمال خاصة فى مدينة سراييفو القديمة التى يشكل المسلمون نحو ٩٩٪ من سكانها وتحرسهم خمس بوابات عثمانية ويعد السوق القديم الشريان الاقتصادى. وهو بأكمله اثر عثمانى باق سياحيا واقتصاديا حتى اليوم فضلا عن المقاهى والحمامات والخلوات.●



*سيفليت هورتيتش

سيفليت هورتيتش نموذج للشاب المسلم البوسنوى يدرس الطب البيطرى ويعمل صحفيا تحت التمرين فى جريدة «صوت المسلم» الشهرية، لديه قناعة ان المسلمين عانوا من الاضطهاد على يد الصرب وأن لهم ان يتسيدوا قرارهم ويشقوا طريقهم

● تعرضت لدمار شديد على يد العدوان الصربى لاحقا.

ويشبوا عن الطوق اليوغوسلافى.



* ماهر تشينسك

ماهر تشينسكو السكرتير التقنى لحزب العمل الديمقراطى صاحب الاغلبية فى التشكيل الوزارى صورة اخرى للشاب المسلم المفعم بالحيوية والامل والمتوج بالادب الجم الذى يفيض حياء. يتكلم الانجليزية التى يندر من يتكلمها فى الجمهورية واللغة الالمانية كشأن اغلب الجمهوريات اليوغوسلافية الاكثر شيوعا فى البوسنة والهرسك حيث يتكلمها عشرات الالاف من العاملين فى المانيا سواء منهم من استمر هناك او عاد الى الوطن. سيفليت وماهر يعكسان توجهين فى سراييفو باعطاء فرصة للشباب للصعود والمشاركة فى صنع القرار واعطائه فرصة التجربة واكتساب الخبرات اللازمة لا يغيب عن وعى القيادة السياسية حقيقة تواجد الصرب والكروات فى الجمهورية بما يمثل نصف السكان. وتظل المعادلة صعبة سيدة الموقف بحيث يمكن الحفاظ على الهوية المسلمة وضمان حقوق الاقليات بالشكل الذى لا يستفز الغرب، والحقبة الحالية حقبة خروج من تحت حكم شمولى ساد لاكثر من اربعين عاما نجح فى اضفاء انقسامات حقيقية فى البنية السياسية والاجتماعية ليوغوسلافيا ويعتبر الرئيس على عزت بيجوفيتش ان الحرية بجميع مساوئها هى الخيار الوحيد للبوسنة والهرسك. كنقيض لديكتاتورية سادت ويرى ان «يوغوسلافيا الثالثة» على حد تعبيره سترى «تأثيرا اسلاميا قويا» ويذكر فى اول مقابلة صحفية تمت بعد خروجه من السجن للمرة الثانية عام ١٩٨٩ ونشرتها صحيفة «دلو فى لوبليان» بانه.. سيكون للشعب المسلم دور هام فى تحقيق توازن جديد فى البلاد واكد ان «الزمن سيؤكد صحة ما قلت» وقتها منذ اكثر من ثلاثة اعوام لم ترغب اى من الصحف فى نشر اللقاء فيما عدا الصحيفة الكرواتية المذكورة. اضاف قائلا فى هذه الجولة السريعة ان هناك محاولات تتميز بالاصرار على تحييد العنصر الاسلامى بشكل ما. غير ان الشعب المسلم «يعلم جيدا مايرفضه اكثر من علمه بما يريده» الصرب والكروات لديهما برنامجان احدهما ديمقراطى والاخر لدولة كبرى على حساب البوسنة والهرسك، دولة لا تخلو من الفاشية اما المسلمون «فليس امامهم خيار سوى الديمقراطية»

اشاعات واقاويل

اشاعات واقاويل حول خلاف بين رئاسة المسلمين فى عموم يوغوسلافيا وبين القيادة السياسية للمسلمين فى البوسنة والهرسك الممثلة فى حزب «العمل الديمقراطى» و«منظمة مسلمى البوسنة» تستند الاشاعات الى عدم وجود برنامج لدى الحزبين يتضمن استراتيجية لمصالح المسلمين فى كل الجمهوريات اليوغوسلافية. ويرد على عزت بأن قوة المسلمين فى البوسنة والهرسك بمثابة قوة لكل المسلمين فى الجمهوريات الاخرى . يعتبر الواقع الاسلامى البوسنى «ضمانة لمصالح المسلمين خارج البوسنة والهرسك» .يتضمن برنامج حزب العمل الديمقراطى هذا الاتجاه وهو برنامج يلقى تأييدا من اغلبية الشعب المسلم فى جمهوريات يوغوسلافيا. يؤمن على عزت بيجوفيتش كثيرا فى صيغة اتحادية بديلة.. ويقول «تفكك يوغوسلافيا الى ست دويلات ليس حلا بالتأكيد خاصة

بالنسبة للبوسنة والهرسك متعددة القوميات وذات الموقع الجغرافى الحساس ونحن نقبل الحل الذى يوافق عليه الصرب والكروات معا ويضمن سيادة البوسنة والهرسك»● ويدين الرئيسين الصربى والكرواتى ميلوسفيتش وتوجمان فى وقت واحد بقوله «الموقف الراهن السخيف هو نتيجة لسياسة التطرف القومى للرئيسين الصربى والكرواتى انتقاده ايضا ينصب على تحويل صربيا وكرواتيا الى جمهوريتين عرقيتين مؤكدا على ضرورة بقاء البوسنة والهرسك جمهورية للمواطنين المنتمين لاعراق مختلفة. عن الديمقراطية يشير بقوله «اذا كانت هناك ديمقراطية فى يوغسلافيا فهى فى البوسنة والهرسك، حيث لا توجد رقابة على الصحف او الاذاعة او التلفزيون ولم نعاقب الحكام السابقين. ولم ننصب المحاكم ولا يوجد عندنا سجناء سياسيون ولدينا مشاركة فى السلطة، والمناصب السياسية العليا موزعة بين المسلمين والصرب والكروات»

رئيس «الحزب الديمقراطى الصربى» فى البوسنة والهرسك اتخذ من كتاب الاعلان او البيان الاسلامى الذى كتبه على عزت فى بداية السبعينات دليلا على رغبة الاخير وحزبه «العمل الديمقراطى» فى اقامة دولة اسلامية فى البوسنة والهرسك. الرئيس البوسنوى يرد بقوله ان كاراجيتش لم يقرأ البيان على مايبدو. انه يعبر عن رأيى فى العالم الاسلامى اليوم. كاراجيتش يسعى لاستقطاب الصرب وتكثيف النزعة القومية بآثارة مخاوفهم عبر اتهامات لا تستند للواقع.

فى كل الاحوال استطاع الاخرون بمهارة فائقة توظيف قضية الدولة الاسلامية لابتزاز امانى مسلمى البوسنة والهرسك، وحصارها بعيدا عن امكانية التحقيق. لكن الواقع يشهد ايضا بحنكة دبلوماسية وتجربة تاريخية يتحلى بها القادة المسلمون فى مواجهة الهجوم الصاعد فى سماء البوسنة والهرسك وكذلك العالم الثالث.

مستشار الرئيس

الاطلاع على المواقف الثلاثة مواقف صربيا وكرواتيا ومعهما البوسنة والهرسك، امر لا مفر منه امام اي مراقب يحاول البحث عن تفاصيل الازمة والرؤية الشاملة التي تحيط بها. من هنا تمثل آراء القيادة في الجمهوريات الثلاث اهمية خاصة لفهم الازمة بطريقة اعمق تفسر التفاوت الشديد في مواقف الاطراف المعنية. لم يكن الامر سهلا للحصول على موعد لاجراء المقابلات خاصة في بلجراد. تملكني احساس بان الصرب الذين يعيشون اعياد ميلاد مثخنة بالجراح ومعاناة الحرب، لا يرغبون كثيرلي التعامل مع الاعلام الاجنبي. لم يكن هناك سوى تفسير واحد يبرره ضعف موقفهم وشعورهم بالعزلة الدولية دبلوماسيا واعلاميا مما دفعهم الى حالة من الانكفاء على الذات كشكل من اشكال الرد على العالم الخارجي. ظللت حتى الساعات الاخيرة من زيارة يناير ١٩٩٢ في حيرة من امري. لم اتلق ردا ايجابيا على طلبي بمقابلة الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش، ولم يكن امامي سوى ممارسة ضغط معنوي. اتصلت بهم واخبرتهم انني اجريت مقابلتين مع رئيسي البوسنة والهرسكوكرواتيا، فتحركوا على عجل وحددوا لي موعدا مع

● كان ذلك قبل العدوان الصربى على البوسنة والهرسك

تستليكو سيميتش مستشار الرئيس الصربي. وهكذا اثمرت جهودي باستكمال الحلقة الثالثة للقاءات الرئاسية.

سيميتش البالغ من العمر ٣١ عاما، حاصل على ماجستير في الفلسفة وعلم الاجتماع. له ثلاثة كتب، الاول «الثقافة والايديولوجية» الثاني «تحديات الصدامات» والثالث ادبي تحت الطبع. يمثل جيل شباب الدبلوماسيين الصرب. يتكلم الانجليزية والفرنسية، ويرأس تحرير مجلة «ريفيو». التقيت به بعد ان اتممت مقابلتي لرئيسي البوسنة والهرسك وكرواتيا لكني أوثر ـ هنا ـ ان اقدمه عليهما نظرا لان جمهورية صربيا تمثل مفتاح الازمة الساعي الى هدم قواعد البيت الجديد القائم على انقاض الاتحاد اليوغسلافي. سألته عن تقييمه لمرحلة ما بعد الخامس عشر من يناير من عام ١٩٩٢ موعد اعتراف المجموعة الاوروبية بالجمهورية المستقلة عن بلجراد، فاجابني بقوله: «يصعب علي تحديد اي تصور مستقبلي ليوغسلافيا لان هناك عوامل وعناصر كثيرة في الازمة تتغير من يوم لآخر مما يصعب معه استنتاج رؤية محددة وثابتة، اعتقد اننا نعيش اياما عصيبة جدا نحتاج معها الى مساعدة دولية للتغلب على الازمة التي بدأت منذ شهور طويلة والتي يجب وضع حد لها. يدرك صانعو القرار ان الازمة اليوغسلافية ليست محلية بقدر ما هي ازمة اوروبية، ويرى الجميع ان الحرب الاهلية في يوغسلافيا ـ اذا جاز تعبير الحرب الاهلية ـ تشكل خطورة حقيقية لاوروبا.

واذا اردنا توضيح الامر اكثر من ذلك نقول ان الموقف في يوغسلافيا وموقف بعض الدول من الازمة سيقود الى تفجير اوروبا من الداخل، فنحن هنا في يوغسلافيا نعتبر اوروبا مصغرة، الكثير من الدول الاوروبية لديها مشاكل اقليات مثل الايرلنديين في بريطانيا والباسك في اسبانيا والكورسيكيين في فرنسا.

● قد يفسر ذلك عدم اعتراف الدول الثلاث حتى الآن باستقلال الجمهوريات الاخرى داخل يوغسلافيا؟

●● ليس فقط لحماية الوضع الداخلي في هذه الدول، ولكن ايضا لحماية النظام والقانون الدولي، الاسرة الاوروبية معنية جدا بالقانون الدولي استنادا الى اتفاقية هلسنكي ومعاهدة باريس.. في رأيي الاعتبار الاهم داخل الاسرة الاوروبية هو احترام المواثيق الدولية المعنية بالواقع الاوروبي، ونحن في يوغسلافيا نعتبر الخروج على وثيقتي هلسنكي وباريس من قبل بعض الدول الاوروبية مثل المانيا انتهاكا للقانون الدولي.

● وحق كرواتيا في الاستقلال

●● لم نكن يوما في جمهورية صربيا ضد استقلال كرواتيا، لذلك اطرح سؤالا مهما: لماذا لم تحدث مجابهة عسكرية حقيقية بين صربيا وسلوفينيا بعد اعلانها الاستقلال ؟ ! اندلاع القتال بين الصرب والكروات يرجع لموقف القيادة السياسية الكرواتية . لذلك اعلن الرئيس الصربي في عدة مناسبات اننا نوافق على احترام ارادة الشعبين السلوفيني والكرواتي في حق تقرير المصير وحتى الانفصال. لكننا واتساقا مع نفس الاتجاه الثابت لدى القيادة الصربية نقول ايضا لماذا لايتمتع السكان الصرب الذين يعيشون داخل الحدود الجغرافية لكرواتيا وداخل الحدود السياسية لجمهورية يوغسلافيا التي تتمتع بالشرعية الدولية.. لماذا لايتمتع هؤلاء الصرب بحق تقرير المصير

واحترام رغبتهم في البقاء داخل يوغسلافيا. هؤلاء مواطنون لديهم نفس حقوق الكروات، بل ان حقوقهم ذات افضلية باعتبار انهم يفضلون البقاء.

● وهذا ما يحدث بالفعل من قبل الصرب في كرواتيا؟

●● نعم.. فليس امام الصرب خيار آخر غير يوغسلافيا كدولة يعيشون في كنفها، الالبان ـ اليوغسلاف ـ على سبيل المثال ـ لديهم خيار آخر هو دولة البانيا التي ينتمون اليها عرقيا. الصرب الذين يعيشون داخل كرواتيا ـ من جهة اخرى ـ لا يمكن ان يتحولوا الى اقلية، كما ان الكروات الذين يعيشون في صربيا لا يمكن ان يتحولوا الى اقلية، فكلاهما سواء هنا او هناك يعيش داخل وطن اسمه يوغسلافيا. للاسف نتج عن الازمة لجوء مائتي الف صربي من كرواتيا الى صربيا.

● هل يستوي لديكم موقف جمهوريتي البوسنة والهرسك وكرواتيا؟

●● ان ثلث سكان البوسنة والهرسك من الصرب. وهناك فارق بين موقف الحكومة وموقف الشعب، وحدود الجمهوريات ترجع للشعوب نفسها وليس لبعض افراد، اثناء حكم تيتو بصلاحياته المطلقة تبدت مظاهر كرمه وسماحته. انعكست هواية حب الرسم عنده على صربيا اليوم فورثت خريطة يوغسلافيا الحديثة التي رسم حدودها الداخلية الرئيس السابق، كانت افضل رسوماته. على الشعوب ان تقرر وسط هذه الازمة مصير الحدود، وليس الحكومات.

● هل يعني ذلك انكم تضعون الموقف البوسنوي والكرواتي في سلة واحدة؟

●● هناك علاقات قوية جدا بين الكروات والزعماء المسلمين في البوسنة والهرسك بخصوص بعض المشاكل، لقد انتهك الاثنان الدستور اليوغسلافي، الرئيس البوسنوي، علي عزت بيجوفيتش انتهك الدستور باعلان البوسنة والهرسك جمهورية مستقلة، رغم ان السكان الصرب يرفضون الانفصال.

● هناك مادة في الدستور تعطي لاي جمهورية حق الاستقلال؟

●● بالطبع.. هناك مادة تعطي الجمهوريات حق تقرير المصير والانفصال.

● المادة اشترطت الحوار؟

●● الحوار والتوصل الى حل من خلال قواعد قانونية محددة، ورفض اللجوء الى القوة لتحقيق الانفصال.

● الكروات يرفضون بشكل قاطع الصيغة الفيدرالية والكونفدرالية، بينما البوسنة والهرسك تؤيد الكونفدرالية؟

●● هناك فارق بين الجمهوريتين.

● هل تقبلون بالكونفدرالية بديلا عن صيغة الفيدرالية التي اندلعت في ظلها الازمة؟

●● علينا البحث اولا عن الظروف والشروط التي تمهد لبحث مستقبل يوغسلافيا، كرواتيا ترفض الصيغة اليوغسلافية. وقعت ١٤ اتفاقا لوقف اطلاق النار ولم تحترمها.

● لماذا؟..

●● تريد حالة الحرب والابقاء عليها من اجل الاسراع بالاعتراف بها من قبل العالم.

● يقولون في كرواتيا ان انتهاك وقف اطلاق النار يأتي من الجانب الصربي؟

●● ليس لديهم اي دليل يثبت ذلك الادعاء. بالعكس يهاجمون الجيش اليوغسلافي عن طريق قطع امدادات الكهرباء والماء عنه، حطموا حتى الآن سبعة جسور تربط الجانبين ببعضهما.

● انتم متهمون في بلجراد باستغلال الاقلية الصربية في كرواتيا لاشعال الحرب هناك؟

●● اخبرك بوضوح، انهم يسعون لاعادة حلمهم التاريخي القديم الرامي الى تأسيس دولة كرواتيا. من جانبنا ليس لدينا نفس الحلم لان هناك دولة قائمة اسمها يوغسلافيا.

● وما يتردد عن احتمالات قيام علاقات مميزة بين كرواتيا من جانب والمجر والنمسا والمانيا ـ على نحو خاص ـ من جهة اخرى؟

●● هذه الاحتمالات تترجم الى واقع الآن. من يدعم كرواتيا عسكريا وماليا؟ انها المانيا، وزير الدفاع الامريكي ديك تشيني ذهب الى بودابست منذ حوالي شهر، نعتقد انه حذر المجريين من انتهاك المجال الجوي اليوغسلافي، الطائرات المجرية ـ بالفعل ـ قامت بطلعات في اجوائنا، اطلقت المدفعية النار من الاراضي المجرية على السكان الصرب، نحن لا نحاول استغلال الصرب في كرواتيا. الصرب هناك مواطنون كغيرهم مزارعون يعيشون في امان يحاولون الدفاع عن انفسهم ضد الميليشيات «الارهابية» الكرواتية، من المهم التأكيد على ان الجيش الذي يخوض معارك ضد كرواتيا هو الجيش اليوغسلافي وليس الصربي، ومن غير المقبول ان يتعرض اي جيش داخل بلده للعدوان ويقف غير مبال، غير مقبول قيام جيشين في بلد واحد، غير مقبول قيام الميليشيات الكرواتية بالتنكيل بالصرب في كرواتيا، في كرواتيا ـ الآن ـ حزب سياسي مسلح بالكامل وهو ما لم يحدث في اوروبا منذ حوالي ستين عاما، منذ وقت المانيا النازية.

● ماذا تنتظرون من العرب؟

●● ننتظر ونأمل ان يكونوا موضوعيين في تناولهم للازمة اليوغسلافية ورؤيتها بشكل واسع وشامل استنادا الى خلفياتها وجذورها، نحن نتطلع الى هذا الموقف من الدول العربية التي تشاركنا حركة عدم الانحياز.

● لدي رغبة حقيقية في زيارة يوغسلافيا ربما العام القادم، هل تعتقدون في بلجراد ان يوغسلافيا ستظل قائمة عام ١٩٩٣؟

●● لا ادعي التنبؤ، لكن اقول انك لن تجد نفس يوغسلافيا التي اعتادها العالم، يصعب علي جدا ان اقول ذلك، سنبذل كل جهدنا لنحمي الشعب الصربي، ولن نسمح بالاعتداء على الصرب في اي مكان.

● كثر الحديث عن اهداف المانية في بحر الادرياتيك الذي يعد منفذا بحريا هاما لبون؟

●● بحر الادرياتيك ممر بحري استراتيجي ويعد هدفا للسياسة الالمانية للخروج عبر الحدود الى المياه الدافئة والتفوق على الجيران في الاسرة الاوروبية، اننا مقبلون على فترة او عصر ملىء بالمشاكل بسبب نزوع المانيا الى قيادة اوروبا.

● وفرنسا

●● من جانبها يجب ان تجعل ذلك امرا مستحيلا على المانيا، اذا لم يتم احترام وثيقتي هلسنكي وباريس بمواجهة الازمة اليوغسلافية، فلن نكون بحاجة اليهما فيما بعد. اوروبا لم تنس بعد الاعتداء على القانون من قبل المانيا والنمسا والمجر، هذه خبرة تاريخية يجب ان تبقى في الذاكرة عبر ممارسة الامبراطورية النمساوية ـ المجرية، وكذلك موقف الكروات منها.



بيجوفيتش.. رمز

يتحول **الرئيس علي عزت بيجوفيتش** - مع مرور الوقت ـ الى رمز يلتف حوله شعب البوسنة والهرسك المسلم. تاريخ حافل يستند لاسس اخلاقية ثابتة جعلت منه معارضا للحكم الشيوعي وهو في قمة السلطة. من المفارقات الغريبة ان نفس الاسس الاخلاقية حالت بينه وبين افتعال معارك وهمية مع تيتو بعد رحيله، بينما دأب كل من القطبين الشيوعيين الصربي ميلوسيفيتش والكرواتي توجمان على مهاجمة الرئيس اليوغسلافي فقط بعد وفاته متناسين انهما كانا من قيادات الحكم الشيوعي؟

* الرئيس علي عزت بيجوفيتش

ولد رئيس البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش عام ١٩٢٥. تخرج من المدرسة العليا بسراييفو. درس علم تحسين التربة في جامعة سراييفو. حصل على ليسانس الحقوق من نفس الجامعة. متزوج واب لثلاثة ابناء. قضى ثمانية اعوام من عمره في السجن، المرة الاولى كانت بين عامي ٤٦ و١٩٤٩. الثانية بين عامي ٨٣ و١٩٨٩ بسبب تأليفه كتاب «الاعلان الاسلامي» الصادر عام ١٩٧٠. اي انه عوقب باثر رجعي بعد ثلاثة عشر عاما من ارتكاب الجريمة، اذا كان تأليف هذا الكتاب يعد بحق جريمة!! له مؤلفات اخرى هي «الاسلام بين الشرق والغرب» الذي ترجم الى الانجليزية والتركية والماليزية والهندية، وكتاب «مشاكل الاسلام العائد» و«وساطات في السجن» تحت الطبع. اسس الحزب الاسلامي عام ١٩٨٩ واطلق عليه «حزب العمل الديمقراطي» لتفادي العقبات القانونية التي قد تمنع تأسيسه بسبب تسمية «الاسلامي».

داخل مكتبه المتواضع وبحضور ابنته التي تولت مهمة الترجمة الى الانجليزية. اسأله عن ردود العرب بخصوص طلب الاعتراف بعد اعلان الاستقلال، فيقول «لم نتلق اية اجابات من الدول العربية. فنحن تقدمنا للمجموعة الاوروبية بداية، لان قرار خروجنا الى عالم الاعتراف الدولي بيد غرب اوروبا قبل اية جهة اخرى.

● هل تلقيتم ردودا ايجابية من الدول العربية بخصوص طلب الاعتراف؟

ـــ لم نتلق اية اجابات من الدول العربية، فنحن تقدمنا للمجموعة الاوروبية مبدئيا، لان قرار خروجنا الى عالم الاعتراف الدولي بيد غرب اوروبا قبل اية جهة اخرى.

● وواشنطن؟

●● لديها ورقة اخرى، اي وصول قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة، اجرينا اتصالات بهذا

الشأن مع مبعوث الامم المتحدة سايروس فانس. من الواضح ان الامم المتحدة تقوم بجهدها من اجل تحقيق وتكريس ايقاف اطلاق النار وارسال قوات الطوارىء. هناك - اذن - اولويتان مختلفتان، الاولى اوروبية متعلقة بالاعتراف، والثانية امريكية دولية متعلقة بقوات الطوارىء او حفظ السلام.

● ماذا عن الدور العربي؟

●● اذا تمكنا من حل الازمة التي تعيشها جمهوريتنا وخرجنا منها بسلام، فاننا متفائل بمستقبلنا هنا في البوسنة والهرسك، في هذا التوقيت سيقوم العالم العربي بدوره نحونا.. الدور الذي نأمله ونتمناه من اشقائنا.

● هذا الدور غير مطروح حاليا؟

●● في الوقت الحالي علينا ان نرتب قضية السلام مع اوروبا والولايات المتحدة. اما مستقبلنا عامة والاقتصادي منه خاصة، فنحن نود ان يكون مع العالم العربي، اعتقد ان هذا هو الموقف انطلاقا من الواقع الملموس. نحتاج في كل الاحوال الى تأييد الدول العربية في الامم المتحدة وفي مجلس الامن.

● الى اي مدى يتشابه موقف البوسنة والهرسك في فترة الحرب العالمية الثانية، واليوم مع اندلاع الازمة في كرواتيا؟

●● هناك بعض علامات الشبه بين البوسنة والهرسك امس واليوم، اي اثناء الحرب العالمية الثانية وخلال الصراع الدائر حاليا قبل كل شيء يجب التأكيد على فارق جوهري، ففي الحرب العالمية لم تكن هناك دولة البوسنة عكس اليوم، حيث الدولة قائمة وموجودة. دولة اليوم دولة مسلمة وهو ما يحدث لاول مرة في تاريخها، حقيقة كانت قائمة بعد الحرب العالمية الثانية - دولة مسلمة - غير انها لم تكن كذلك في حقيقة الامر تحت حكم الشيوعيين. تحولنا فعلا وواقعا الى دولة مسلمة بمعنى انها دولة للمسلمين وليست دولة اسلامية.. دولة يعيش فيها السكان المسلمون الذين يتمتعون بحريتهم، الاسلام عندنا دين وكذلك قومية نحافظ عليها بمواجهة محاولات الاذابة والصهر في اية هوية مخالفة.

● منفذكم الوحيد على بحر الادرياتيك لا يمتد لاكثر من ٢٠ كيلومترا..

●● ٢٦ كيلومترا.

● يظل ايضا غير كاف كميناء مما يؤثر على وضعكم الاقتصادي مستقبلا؟

●● لا يوجد احد في بقية جمهوريات يوغسلافيا يتمتع بموقف افضل باستثناء كرواتيا التي تتمتع بسواحل طويلة على بحر الادرياتيك، يجب الاعتراف بان ضآلة المسافة التي نطل عليها عبر الادرياتيك تعد عاملا معوقا، لكن هناك دولا عديدة ليس لديها امكانات احسن منا، المانيا لديها ميناء واحد هو هامبورج، بولندا نفس الوضع لديها ميناء جدانسك فقط، نحن لدينا ميناء في هذه المساحة الصغيرة لايزال تحت الانشاء ويمكن توسعته في مراحل تالية، من حسن الحظ ان موقع ميناء جمهورية البوسنة والهرسك يعد الافضل على ساحل البحر الادرياتيكي. الميناء صغير الحجم يمكنه استقبال السفن الصغيرة وتوسيعه مستقبلا مع اعتماد استثمارات جديدة له ويزيد

من اهميته موقعه الجغرافي الذي يعد الاهم على ساحل الادرياتيك.

● الخبرة التاريخية للبوسنة والهرسك تشير الى امكانية الحفاظ على علاقات طيبة مع الشرق والغرب في آن واحد؟

●● تاريخيا لدينا دائما علاقات مع الشرق والغرب. الموقع الجغرافي للبوسنة جعل منها معبرا بين الاثنين وحلقة وصل عبر التاريخ، البوسنة والهرسك جمهورية متعددة القوميات والاديان والثقافات.

● ديانات متعددة. ام دين اغلبية واديان اقليات؟

ـ في البوسنة ثلاثة ديانات: الاسلام والكاثوليكية والارثوذكسية، تتمتع ثلاثتها بموقف قانوني متساو، المسلمون يشكلون اغلبية، وهذه الاغلبية غير متسلطة.

● ما انعكاسات ذلك على الواقع السياسي؟

●● تقسيم السلطة بين القوميات الثلاث، رئيس الجمهورية مسلم، رئيس البرلمان صربي ارثوذكسي، رئيس الوزراء كرواتي كاثوليكي.

● البوسنة نموذج للتعايش مطروح على الصعيد اليوغسلافي الداخلي؟

●● البوسنة « يوغسلافيا » مصغرة.

● نموذج مؤسس على الفكر الذي ارساه الرئيس السابق تيتو؟

●● لا.. لا، لا علاقة لتيتو بذلك، نحن لسنا على يقين من احتمالات بقاء يوغسلافيا كدولة، بالنسبة للبوسنة نعمل على اساس ايجاد شكل من الاتحاد لا علاقة له بالنمط« اليوغسلافي » على طريقة تيتو، اتحاد يشمل الشعوب التي تعيش في الجغرافيا اليوغسلافية ـ اتحاد يجمع شعوبا ودولا مستقلة.

● شكل من اشكال الكونفدرالية؟

●● نعم كونفدرالية، الصيغة الفيدرالية لا تصلح الآن خاصة بعد تفاعل الازمة واسقاط احتمالاتها نهائيا في كرواتيا وسلوفينيا، نسعى لايجاد علاقة بين دول مستقلة.

● تشابه الاتحاد السوفييتي سابقا واسرة الامم حاليا؟

●● نعم.

● تاريخ مسلمي البوسنة والهرسك حافل بالمعاناة والآلام، هل ترون نهاية قريبة لذلك التاريخ؟

●● اتمنى ان نشهد نهاية لهذه الآلام خلال النصف الاول من العام الحالي. نهاية تعني السلام وايقاف الحرب الدائرة بين الصرب والكروات. اما الحل السياسي او القرار السياسي فسيأخذ وقتا اطول من الستة شهور القادمة.

● وما يقال عن وضع قنابل في بعض المساجد في صربيا وكرواتيا؟

●● هناك مبالغات واعتقد ان شائعات كثيرة تنتشر بهذا الصدد، لكن اذا اجبرنا على القتال او دفعنا اليه دفعا، سنجد انفسنا مضطرين لحمل السلاح.

● والوضع العسكري في البوسنة والهرسك؟

●● تشهد البوسنة ـ حاليا ـ اكبر تجمع عسكري في اوروبا.. فقد تجمعت اكثر القوات الصربية فوق اراضينا بعد الانسحاب الذي تم من اراضي كرواتيا.. العدد ضخم ليس لدينا رقم دقيق عنه سوى انه يتراوح بين ٥٠ و٦٠ الف فرد باسلحتهم وعتادهم.. وهم مجهزون بشكل جيد جدا فضلا عن وجود السلاح الجوي الصربي الى جانب القوات البرية.. اما قواتنا فتتمثل في الشرطة المحلية من الجنود النظاميين البالغ عددهم ١٠ آلاف فرد واحتياطي يبلغ حجمه ٣٠ الف فرد مسلحين تسليحا خفيفا في مجموعهم.

● وسط الحرب المشتعلة، هل تعتقدون في البوسنة والهرسك بامكانية تحقيق كل اهدافكم بالوسائل السلمية؟

●● من الصعب الحصول على كل شيء سلميا. لكن يجب علينا الحصول على حقوقنا بالسبل السلمية، لانها الطريقة الوحيدة واختيارنا الوحيد. من الخطر في البوسنة والهرسك تبني مخاطرة الحرب والتورط في قتال. مثل هذا القتال سيتحول الى معارك ضارية على ارضية دينية وعرقية. لن تصبح حربا اهلية، بل حربا دينية. المجازفة باندلاع القتال في البوسنة والهرسك تعني اشتعال سيجارة في مكان مليء بالوقود. لذلك نختار السلام والصبر وسياسة النفس الطويل، ما لم نتعرض لهجوم يضطرنا للقتال. فنحن مستعدون للدفاع عن انفسنا.

● والخامس عشر من يناير؟..

●●يوم فاصل في تاريخنا، لقد تقدمنا فعلا بطلب الاعتراف بنا.. وهناك تقدم واضح ـ حتى وقتنا هذا ـ في الاتصالات التي نجريها من اجل الحصول على الاعتراف باستقلالنا من قبل دول المجموعة الاوروبية ولجانها المتخصصة المكونة من الخبراء. لذلك يخضع طلبنا للدراسة للوصول الى قرار ينتظر صدوره بدءا من الخامس عشر من الشهر الحالي. من جانبنا نحرص على تحقيق كافة الشروط المطلوبة من المجموعة الاوروبية. لم يكن لدينا اختيار آخر غير التقدم بطلب الاعتراف بدلا من البقاء كضحية لمشروع صربيا الكبرى الذي نرفضه.

فرانيو توجمان

التقيت به صباح يوم احد غارقا في هموم السياسة والحرب وايضا معاناة الداخل الذي يفترسه اقتصاد الحرب. يوم السبت اخبرتني المتحدثة باسم الرئاسة فيسنا شكاره بانه تمت الموافقة على المقابلة بنسبة تسعين في المائة وتتبقى فقط نسبة عشرة في المائة تحتاج للتأكد مرة اخرى صباح الاحد قبل الموعد المقرر. في النهاية وصلت الى نسبة المائة في المائة والتقيت بالرئيس فرانيو تودجمان في مكتبه الفخم الذي يرجع للرئيس تيتو فيما سبق بفيللا زغربا المقر الرئاسي بكرواتيا. يبلغ الرئيس توجمان من العمر سبعين عاما، شارك في حرب التحرير برتبة جنرال.



○ فرانيو توجمان

شيوعي سابق، لكنه تعرض للسجن بسبب نزعته الكرواتية. اسس «حزب الاتحاد الديمقراطي الكرواتي» بمجرد خروجه من السجن. درس التاريخ في جامعة زغرب والف عدة كتب في نفس المجال. متزوج واب لولد وبنت.

مثل الرئيس بيجوفيتش يفهم الانجليزية ولا يتقنها. لذلك كان يجيب مباشرة على اسئلتي دون انتظار المترجم، بينما حرص على الاجابة باللغة المحلية ضمانا لدقة اللفظ والمعنى. في البداية تطرقت معه الى اهم ملامح التجربة الكرواتية في ظل الاستقلال، فاجاب قائلا: «نريد ان تصبح كرواتيا نموذجا للبرلمانية الديمقراطية والتعددية الحزبية. نريد ان تتبع سياسة السوق الحر كمنهج اقتصادي يتماشى مع سياسات العالم الحر. لقد فهم العالم ان هذا النظام هو الافضل للبشرية. ليس هناك نظام مثالي. ولكن التعددية واقتصاد السوق هما الافضل من حيث الاهداف المباشرة، وكذلك لتوطيد العلاقات بين دول الجوار ودول العالم مجتمعة. هذه المبادىء، تشكل القواعد الاساسية للديمقراطية لذلك يجب ان نراعي في هذا الاطار العام طبيعة كل دولة وظروفها الخاصة وآمال الشعوب وطموحاتها وتنمية المسيرة الديمقراطية وظروف المجتمع ذاته واحترام تقاليده وتاريخه».

● هل تعتقدون ان سواحل الادرياتيك سبب رئيسي لتحرك الجيش اليوغسلافي او الصربي بمواجهتكم، وتحرك المانيا السريع للاعتراف بكم؟

●● ستفقد صربيا كل هذه السواحل بعد انهيار يوغسلافيا وحصولنا على الاستقلال. هذه حقيقة تبدو واضحة في مرحلة ما بعد الحرب، على الجانب الآخر لا توجد لدى المانيا اطماع في الاراضي الكرواتية. من ناحيتنا سنفتح شواطئنا للاتصال بالمانيا او اي دولة اخرى تود ان ترسي روابط مع كرواتيا او بواسطتها من والى وسط اوروبا والبحر المتوسط.

● يقولون ان بون تنظر دائما لسواحلكم على الادرياتيك، خاصة في ظل امتلاكها ميناء وحيدا هو هامبورج!

●● نحن نقدر ونأخذ في الاعتبار الموقف الالماني المبادر بالاعتراف باستقلالنا، فقد قادت بون الاتجاه داخل اوروبا نحو الاعتراف بكرواتيا. من ناحية اخرى يجب الا ننسى ان هناك دولا صغيرة اعترفت بنا ايضا مثل ايسلندا ومالطا فضلا عن دولة أخرى في موقع وسط بين النموذجين السابقين وهي السويد ـ علينا ان ننمي علاقات شاملة مع المانيا، بما لا يتنافى واستقلالنا وسيادتنا وبدون الدخول في وضعية خاصة لهذه العلاقات قد تنقص من استقلالنا.

● الحرب الدامية بينكم وبين صربيا ـ هل ستحول دون وجود علاقات مستقبلا بعد حلول السلام؟

● منذ عام ونصف عام طرحنا حلا لتفادي ملامح الازمة التي كانت مقبلة آنذاك. طالبنا بصيغة الكونفدرالية بتعاون جميع الجمهوريات تحول دون اندلاع الحرب. وهي صيغة تحفظ في الوقت ذاته على صيغة الدولة اليوغسلافية كاطار عام تندرج تحته دول متحدة ذات سيادة، بالتأكيد عملنا على تفادي الحرب والحيلولة دون وقوعها، لكن صربيا لم تأبه بالاقتراح وفرضت علينا

الحرب.. الآن لم يعد هناك محل لطرح اقتراح اتحادي فقد تجاوز الواقع ذلك الطرح في ظل الحرب المشتعلة. اعتقد انه بمجرد انتهاء الحرب وتمتعنا بالاستقلال والسيادة، سوف يكون هناك مجال لاقامة نوع من العلاقات خاصة في الميدان الاقتصادي عبر الارتباطات الاقتصادية التي اوجدتها الدولة اليوغسلافية في السابق.

● الاعتراف الالماني المبكر بكرواتيا والتردد الفرنسي الواضح هل يمكن ان يؤثرا على علاقتكم مستقبلا بالطرفين ايجابا وسلبا؟

●● هناك فوارق ضئيلة بين موقفي المانيا وفرنسا ازاء المشكلة الكرواتية، وقد قامت الدولتان في اطار المجموعة الاوروبية بوضع عدة شروط للاعتراف بالاستقلال.. قامت المانيا بالاعتراف بدولة كرواتيا التي تحترم وتحقق هذه الشروط، واعتقد ان فرنسا ستلحق بها عاجلا.. الموقف الحالي يظهر نضال كرواتيا من اجل الاستقلال والسيادة والتحول نهائيا عن الشيوعية.. فالتحرك الكرواتي يعكس التغيير الواقع من حولنا ليس فقط في اوروبا، ولكن على مستوى العالم واعادة تشكيل اساسياته من جديد.

● ماذا عن الخامس عشر من الشهر الحالي؟

●● الخامس عشر من يناير يعني لدينا الاعتراف بجمهورية كرواتيا ووضع حد نهائي للحرب من خلال وقف اطلاق النار كاعتبار يحظى بالاولوية في اهتماماتنا. ويوفر نهاية حقيقية للحرب والعدوان علينا، الاعتبار الثاني الذي يبرز في هذا التاريخ، هو اعتراف العالم بدولة كرواتيا المستقلة. أمل ان يلتحق العرب بدول العالم التي يمكن ان تعترف بنا بدءا بالخامس عشر من يناير.. واعبر ـ بهذه المناسبة ـ عن دهشتي من ان الدول العربية لم تأخذ المبادرة وتنضم الى الدول التي سارعت الى الاعتراف بكرواتيا.

ان الدول العربية تحتل مكانة مهمة جدا في حركة عدم الانحياز التي يعد الرئيس تيتو احد مؤسسيها الرئيسيين. وقد اقام الرئيس السابق علاقات ودية وطيبة مع الدول العربية بالمشاركة مع الرئيس جمال عبدالناصر، احد اهم مرتكزات الحركة بقيادة تيتو وناصر كان الاعتراف بحق الشعوب في الاستقلال والسيادة. ويمكن تطبيق هذا المطلب الآن على الشعب الكرواتي الذي جاء منه جوزيف بروز تيتو.

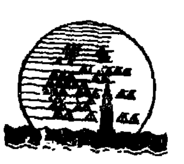
● ماذا تنتظرون من الدول العربية؟..

●● ننتظر من الدول العربية ان تعترف باستقلالنا كدولة ذات سيادة. نأمل ان تمتد جسور التعاون الاقتصادي بين الجانبين مستقبلا. مما يدعم تفاؤلنا بامكانية تطوير العلاقات وتنميتها ان جمهورية كرواتيا تضم اقلية مسلمة، مما يعد عنصرا جيدا بهذا الصدد.. بطبيعة الحال يشكل أفاق التعاون الاقتصادي عاملا حيويا في العلاقات الثنائية، النفط مثلا من اشكال التعاون المأمول، لدينا منشآت انتاج نفطية، كما توجد لنا احتياجات حقيقية على صعيد استيراد النفط. كذلك تضم اراضي كرواتيا خطا لانابيب النفط مرتبطا بوسط اوروبا ويمر بالمجر وتشيكوسلوفاكيا، يمكن ان يكون عامل جذب للاستثمارات العربية لتسويق خام النفط. ويشمل

مجال الاستثمارات ايضا رأس المال العربي الذي سيجد مجموعة تسهيلات كي ينطلق عبر الاقتصاد الكرواتي.

● انت رجل تاريخ، كيف ترى حقيقة الصراع بين صربيا وكرواتيا؟

●● نحن وصربيا ننتمي لحضارتين مختلفتين. صربيا ترجع ـ بشكل اساسي ـ الى الدين الارثوذكسي والدولة البيزنطية، كرواتيا ترجع لغرب اوروبا بتاريخها ودينها المختلفين، بعد ٧٢ سنة قضيناها سويا في ظل الدولة اليوغسلافية «سابقا» لم تتقلص الفروق بيننا بسبب المواقف الصربية. ستظل صربيا محكومة برؤاها التاريخية الى ان يتم تأسيس نظام ديمقراطي فيها. رغم ذلك أمل في ان نقيم معا علاقات جيدة مستقبلا، بدلا من الدخول في وضع تسوده القطيعة.



الفصل الثانى

الرحلة الثانية



تقديم

العدوان الصربي على البوسنة والهرسك الذي اندلعت شرارته في الرابع من ابريل عام ١٩٩٢ جاء نتاجاً منطقياً لسلسلة تطورات سبقته. وقد بذل الرئيس علي عزت بيجوفيتش جهداً مستميتاً لينزع عن هذا التطور صفة المنطقية ويجعله امراً مستحيلاً بتأثير القوى الضاغطة المحلية والدولية، الا ان جهوده ذهبت ادراج الرياح. العدوان — رغم محاولات الرئيس — لم يفاجئني كما لم يفاجىء الكثيرين.

استشرفت في رحلتي الاولى رياحه القادمة من بلجراد عبر حادثين، ربما لم يُلتفت اليهما بما فيه الكفاية. الحادث الاول ضحيته **وحيدي بياليتش**. جندي شاب مثل مئات الآلاف من الشباب البوسنوي البسيط القادم من الريف. مجند في الجيش الاتحادي او الصربي، لا فرق بينهما طالما ان القرار قرار بلجراد. كعادته انهى اجازته التي امضاها مع اهله وعاد ادراجه الى وحدته العسكرية. هذه المرة لم يرجع الى اهله في اجازة جديدة. لم يصعد الى ذلك البيت الريفي الصغير الذي تضمه قرية كمنسكوف الواقعة على بعد ٦٠ كيلو مترا غرب سراييفو. نعم عاد وحيدي لكن عودته كانت جد حزينة ومأساوية، محمولاً في نعش مع خطاب مرفق من الجيش الصربي. القرية التي تعيش نائمة هادئة تحت الثلج في اعلى قمة جبلية انتفضت حزناً على الشهيد. صعدت الجبل واستمعت الى والد وحيدي. حزن ممزوج بغضب يفوق ثقله ثقل الجبل ذاته الذي طالما جابه الابن الراحل. قال لي انه طلب من طبيب القرية ان يوقع الكشف على جسد وحيدي، تبين ان وحيدي تعرض لاطلاق النار من مسافة قريبة جداً. اخترق الرصاص رأسه على عمق سبعة سنتيمترات.



* وحيدي بياليتش

تتوالى رواية الاب. قتله الصرب وهو نائم لانه رفض المشاركة في القتال ضد الكروات. قتلوا وحيدي البالغ من العمر عشرين عاماً المشهود له بالصلاح واعتياد المساجد اقسم لي الاب انه سيقاوم اي استدعاء جديد يأتي لشقيقيه ●. لم يكن الحادث الاول من نوعه. فقد شهدت سراييفو جنازة ضخمة في الاسابيع الاخيرة من عام ١٩٩١، لاول شهيد مسلم يقتل في نفس

● قبل رحيل الجيش الاتحادي عن اراضي الجمهورية من الناحية الشكلية.

الظروف. تميزت الجنازة بحضــور واسع من المشيعين والمرور امــام مقــر القيادة العامة للجيش الصربي في مظاهرة احتجــاج. ايضــاً رفع المشيعــون الجثمان فوق الاكف وذلك مظهر بوسنوي لايتبع فقط الا مع الشهداء.

الحادث الثاني شهدته العاصمة البوسنوية. شاحنتان محملتان بقــواذف صواريخ وقنابل، ضبطتهما الشرطــة في عمليــة تفتيش روتينيــة على اوراق الشحنة المنقولة. مدون في الاوراق ان الشحنة تضــم صناديق مملوءة بالموز الذي ظهر انه في حقيقة الامر قواذف الصواريخ، والاناناس الذي اتضح ان كميات من القنــابل. تجمع النــاس حــول مــركــز الشرطــة حيث احتجــزت الشاحنتان. اسرع الجيش الصربي بارسال بعض الضباط والجنود لاطلاق المحتجزين. تصدت الشرطة البوسنوية للجيش واصرت على ابقاء الشحنتين لديها. كانت فترة ما قبل العدوان مليئة — على مــا يبــدو — بعمليــات نقل وتكديس السلاح في ايدي الصرب استعداداً لمرحلة الحرب.

ذهبت الى البوسنة والهرسك وكرواتيــا في رحلتي الثــانيــة● وفي ذاكــرتي هذان الحادثان بكل دلالاتهما. فقد كان واضحــا منــذ البــدايــة ان الطــرفين، البوسنة والهرسك وصربيا اختارا الحرب سبيلاً على طــريق المواجهــة. لكن الحرب التي تبنتها سراييفو اصطبغت باللون الاخضر، منتهجة ديبلوماسية السلام دون اللجوء الى السلاح والبــارود. امــا بلجــراد فلم تــر غير الحرب بالسلاح طريقــاً وحيــداً لفــرض ارادتها مستغلــة في ذلك الاقليــة الصربيــة الضخمة داخل الجمهورية وفلول القوات النظامية لتعطيل مشروع الدولــة الواحدة ذات الاغلبية المسلمة.

● اواخر شهر مايو ١٩٩٢ واستغرقت اثنا عشر يوماً.

مجرد نموذج

لم يشتعل حريق البوسنة والهرسك على يد صربيا فجأة في يوم وليلة، بل هو حريق مستمر على مدى نحو قرنين من الزمان، تفاوتت خلالها حدة لهيبه، والرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش مجرد نموذج تكرر مرات عدة طال هذا التاريخ المشحون كرها للمسلمين اشهر النماذج الدموية ستوجان نوفاكوفيتش الذي يعد من الشخصيات الصربية التاريخية المتعطشة سواء داخل البوسنة او صربيا نفسها.

نوفاكوفيتش صاحب دعوة «تطهير الامة من الاتراك» الذين حكموا المنطقة طيلة اربعة قرون، وتشهد الادبيات في منطقة البلقان خاصة على ان كلمة تركي هي مرادف حقيقي للمسلم، وفي اطار تلك الدعوة المجنونة اقتحم المتمردون مدينة بلجراد في الثامن من يناير عام ١٨٠٧ وعاثوا فيها فسادا لم يقتصر الامر على المسلمين فقط، بل شملت قائمة الضحايا اضافة اليهم اليونانيين واليهود، وهدموا عشرات المساجد والمقابر والمدارس الاسلامية، عنف لم تشهده العاصمة الصربية مرة اخرى في تاريخها، وذاق وباله البوسنيون الذين سكنوها في تلك الفترة.

مونتينجرو او «الجبل الاسود» برزت في نفس الاتجاه عام ١٨٥٢ حينما تم اجبار المسلمين على اعتناق المسيحية مراسم جماعية في منطقة وادى نهر ليم، بعكس الشرائع الكنسية الارثوذكسية التي تنص على تعميد كل فرد على حدة بواسطة القس داخل الكنيسة، تم التعميد الجماعي في مسرحية هزلية تحت اشراف زعماء القبائل ورجال الشرطة، بعد ذلك بستة وعشرين عاما اعلن مؤتمر برلين كلا من صربيا ومونتينجرو دولة مستقلة، كسبت صربيا بموجب القرار اراضي جديدة آهلة بآلاف المسلمين لم يسلموا من الاضطهاد الصربي، مما دفعهم الى الهجرة. مؤتمر برلين اهدى ايضا مونتينجرو ـ ضمن توزيع الغنائم العثمانية ـ اراضي جديدة شملت عدة مدن من البوسنة والهرسك، تكرر سيناريو الاضطهاد فبدأت الهجرة الى البوسنة والسنجق وكوسوفو والبانيا، شملت قائمة المدن المسلوبة بموجب قرار برلين نيكتسيتش، وبودجوريكا، وبيران، وكولاتسين وبار، واولسينى، وتزامنت تلك الاحداث المأساوية مع احتلال الامبراطورية المجرية ـ النمساوية للبوسنة والهرسك في نفس عام ١٨٧٨ بعد القضاء على مقاومة شرسة من المسلمين، استهل الاحتلال سياسة مستمرة لتغيير هوية الشعب البوسنوى ادت الى احساس بالضياع، وعلى اثر ذلك استؤنفت موجات الهجرة من جديد باتجاه تركيا وبعض دول الشرق الاوسط، اشارت اكثر الاحصائيات ايلاما عن هذه الفترة الى ان مواطنا من بين كل ثلاثة مواطنين نزح من ارض اجداده تاركا بيته حفاظا على دينه ليستقر في المهجر بشكل دائم.

حروب البلقان التي اشتعلت بين عامي ١٩١٢ و١٩١٤ جلبت المزيد من المآسى، فقد جرى التهام اقليم السنجق وتقسيمه بين صربيا ومونتينجرو بعد سلخه من البوسنة والهرسك دخل الاقليم مع هذا التطور مرحلة الابادة الجماعية، دفعت ابناءه الى الهجرة لمختلف انحاء العالم، تعرض مسلمو منطقتي بلاف وجوسنى لانتهاكات مأساوية على يد عصابات النهب في مونتينجرو، فقد حرقت البيوت واغتصبت النساء وقتل الابرياء، بدأ الأمر بقتل المئات واعقبه اكراه

١٣ الفا على اعتناق المسيحية، لكنهم عادوا جميعا لاحقا لحظيرة الاسلام لاحقاً . حلقة جديدة من الابادة المنظمة ضد ابناء البوسنة والهرسك، بدأت في الظهور مع اعلان تأسيس يوغسلافيا التي كانت تحمل اسم مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين طال الامر ايضا الاقليمين المسلمين السنجق وكوسوفو فضلا عن المسلمين في مقدونيا، شهدت منطقة شرق الهرسك وحدها قتل ٣ آلاف مسلم دون اي محاكمة . ومرة اخرى نكتشف في التاريخ نماذج لسلوبودان ميلوسيفيتس. فقد تمت المجزرة على يد عصابات كل من ماجوفوجوفيتش وبيتار روجان من اشهر المذابح واكثرها مأساوية في ظل مملكة يوغسلافيا تلك التي وقعت في بداية نوفمبر عام ١٩٢٤ في قريتى ساهوفيتش وبافيانو بولجى الواقعتين بمنطقة بيجيلو بوجلى، حيث قتل ٦٠٠ مسلم في ليلة واحدة بطريقة يصعب ان يوجد لها مثيل في التاريخ، فقد تم تقطيع اجساد الرجال والنساء والاطفال احياء، وفقئت عيونهم، وقطعت آذانهم واعضاؤهم التناسلية، كما استخرجت احشاؤهم ورسموا عليها علامة الصليب بالسكين، واضطر الناجون منهم للنزوح الى شمال البوسنة وتركيا والبانيا.

التاريخ الملطخ

تقليب صفحات التاريخ الملطخ بالدم يكشف ايضا عن اضطهاد اقتصادى مارسته المملكة اليوغسلافية، فقد اجرت ما سمي باصلاحات زراعية استهدفت افقار مسلمي البوسنة، ومحاصرة الدور النشط لابناء البوسنة والهرسك في دفع حركة المجتمع للامام، عبر تفتيت مناطقهم واماكن تجمعاتهم لتتلاشى الهوية وتضيع معالم الشخصية المتميزة بتحويلهم الى اقليات، ابرز مثال على ذلك الحاق بعض اراضيهم بصربيا لتذويبهم ضمن الاغلبية، وعرف عام ١٩٢٩ قرارا بمثابة سرقة للتاريخ وذبح لحقائق الجغرافيا، وهكذا تم تقسيم البوسنة بين صربيا من جهة وكرواتيا من جهة اخرى كمقدمة لاحداث دموية فيما بعد اودت بحياة عشر المسلمين البوسنويين، تظهر الوثائق ان النادى الصربي الثقافي اعد مشروعين يستهدفان افراغ يوغسلافيا من المسلمين، الاول وضعه فاسو كوبريلوفيتش والثاني للدبلوماسى والكاتب المعروف ايفو اندريتش، وبذلك عرفت المنطقة هجرة مكثفة من البوسنة الى تركيا، كالعادة دمرت المساجد والمقابر الى جانب المدارس الثانوية الدينية والتكايا والحمامات التركية والعديد من المؤسسات الخيرية الاسلامية الاجتماعية والاقتصادية ومراكز انشطة كاملة.

حرب التحرير اليوغسلافية (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) افرزت واقعا معقدا للغاية امام ـ المسلمين الذين بقوا اسرى الابادة الجماعية من جانبين الاول حكومة كرواتيا الفاشية المتحالفة مع النازية التي انكرت عليهم هويتهم التاريخية والجانب الآخر «التشتنيك» وهم ميليشيات الصرب الذين قاموا بعملية تصفية جسدية للمسلمين وسط ضباب المقاومة ضد النازى كستار يخفي حقدا حقيقيا على الاسلام، وهؤلاء «التشتنيك» الذين عاودوا الظهور الآن في الحروب الدائرة داخل الجمهوريات اليوغسلافية «سابقا» ادركوا في الاربعينات ان ضجيج الحرب العالمية سيخفى المظالم الواقعة على شعب البوسنة والهرسك ستيفان مولجيفيتش منظر «التشتنيك» اشتهر ببرنامجه الرامي الى ابادة المسلمين او ترحيلهم الى كل من تركيا والبانيا، وعثر في مذكرات دلازا ميهايلوفيتش قائد هذه

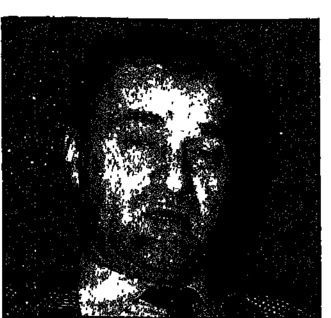
المليشيات على اوراق دعا فيها الى تصفية مسلمي البوسنة، وقد ارتكبت هذه المليشيات اعمال القتل الجماعي في مناطق ثلاث هي: شرق الهرسك وشرق وغرب البوسنة، واجزاء معينة من السنجق وكانت الحملة الاولى وقعت بين يونيو ١٩٤١ الى فبراير ١٩٤٢، والحملة الثانية في اغسطس ١٩٤٢ والثالثة عام ١٩٤٣ واجتاحوا مدنا كثيرة في المناطق الثلاث وعاثوا فيها قتلا وفسادا، ومن بين قائمة المدن المنكوبة لجوبيتي، وبلانا، وبيركوفيتش، وافتوفاك، وبيليشا وكولين ـ فاكوك، وكوراى وفيزجراد وروجاتيكا، وجورازد، وينيتش وفالسينكا، وصربرينكا، ونيقيسينى وفوكا وبروزور، وجابلانيكا، وبلفيجا وادستيكولينا، وجرونى، وبيراتش ومالي زفورنيك.

لقد أوجدت الحرب العالمية الثانية وسط هذه الظروف الحالكة اكثر من مائة الف قتيل مسلم لاقوا ربهم على يد المليشيات والحكومة الفاشية، لم يفرقوا بين طفل، وامرأة ورجل، كان القتل على الهوية.. على الاسلام حرقوا المزارع والبيوت على طريقة دير ياسين التي جاءت في اعقابها بسنين قليلة، سلخوا جلود الضحايا عند الوجه والرأس حتى الرقبة في عمل يرمز الى حجاب المسلمات كانت الفترة من (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) التي ارتفعت فيها ممارسات العدوان والاضطهاد، بمثابة نهاية او خاتمة درامية للذبح الجماعي الذي استمر نحو قرنين في البوسنة والهرسك والسنجق ووصلت نسبة القتلى من اجمالي الشعب المسلم في سنوات الحرب العالمية الثانية وفق التقديرات المتوسطة الى ٦ر٧٪. بقدوم الشيوعيين الى الحكم امكن للقادة الجدد ان يضبطوا الهوس الصربي والمونتينجرى ويقللوا من سلوكهم الهمجي، لكن ستارا من السكوت والاهمال اسدل على تلك المجازر الجماعية البشعة، مما خلف شعوراً بالمرارة لدى المسلمين في سائر انحاء يوغسلافيا «السابقة» الذين احسوا انهم يحتلون درجة اقل في السلم الاجتماعي للشعوب اليوغسلافية لكن المؤكد ان فترة حكم تيتو وضعت حدا لحمامات الدم على النحو الذي كان سائدا من قبل، لكن الزعيم الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش جزار اليوم الخارج من تحت عباءة عهد تيتو والحكم الشيوعى حمل معه كل أحقاد التاريخ الصربي الارثوذكسى على الحكم العثماني ومن ثم مسلمي يوغسلافيا «سابقا» وعلى نحو خاص البوسنة والهرسك والسنجق وايضا كوسوفو التي تمر بفترة اكثر من عصيبة في ظل الهيمنة الصربية.

عمر باشا

نار القصف الصربى للبوسنة والهرسك تطال انحاء الجمهورية ذات الاغلبية المسلمة.. مدينة مدينة، وشارعا شارعا، مايحدث فى ارض المساجد العثمانية الطراز ليس مجرد معركة بين جيش نظامى ومجموعات من المجاهدين البوسنويين، انه حرب ابادة منظمة ومعدة بشكل جيد لتدمير البشر والدولة ذاتها، وسط هذا العنف المجنون يثور التساؤل الطبيعي: ماهو مستقبل البوسنة والهرسك التى تعانى الأمرين من جراء دينها وموقعها وتاريخها؟ استطلعت آراء اربعة من اهم قيادات المسلمين فى البوسنة والهرسك ويوغوسلافيا (السابقة)، منهم اثنان من المؤسسة السياسية الحزبية هما د. شمس تانكوبيتش رئيس حزب العمل الديمقراطى فى كرواتيا وعضو قيادة الحزب فى البوسنة، ود. سليمان اوجليانين رئيس حزب العمل الديمقراطى فى اقليم السنجق ونائب رئيس الجمهورية على عزت بيجوفيتش بصفته رئيس حزب العمل الديمقراطى

(الاسلامى) فى البوسنة. من المؤسسة الدينية بمعناها الفقهى والدعوى تم استطلاع اراء الشيخ يعقوب مصطفى سليموسكى رئيس العلماء والمجلس الاعلى للطائفة الاسلامية فى يوغوسلافيا السابقة واعلى مرجع دينى رسمى لسبعة ملايين مسلم، **والشيخ شوقى عمر باشا** رئيس لجنة الطوارىء لمساعدة البوسنة والهرسك ورئيس المشيخة الاسلامية فى جمهوريتى كرواتيا وسلوفينيا، وكلاهما يقوم بدور ملحوظ فى تسيير الشئون الدينية التى تتقاطع فى اكثر من مفصل مع الواقع المعاش بهموم الحرب والسياسة والاغاثة. انها محاولة لفهم وتحليل العناصر التي تحكم رؤية الداخل البوسنوي والاسلامي عامة. وغني عن البيان ان الصرب اهلكوا الحرث والنسل ونحن في العالم الاسلامي غارقين في فعل المشاهدة والمتابعة دون ان نخرج بمشاعرنا الى حيز الفعل الا من جهود اغاثية مشرفة قامت بها بعض هيئات الاغاثة الخليجية.



* الشيخ شوقى عمر باشا

تبدأ حوارات الاستطلاع مع قيادات المسلمين بالشيخ شوقي عمر باشا رئيس لجنة الطوارىء لمساعدة البوسنة والهرسك ورئيس المشيخة الاسلامية فى جمهوريتى كرواتيا وسلوفينيا، يتولى مسئولية ضخمة فى المرحلة الحالية استنادا الى عاملين اساسيين:

اولا: موقعه الشرعى كرئيس للمشيخة الاسلامية فى كرواتيا وسلوفينيا.

ثانيا: تواجده ونفوذه الفاعل فى كرواتيا التى تستضيف الثقل الرئيسى من تيار المهاجرين البوسنويين الذى لا ينقطع وهو يشكل مع المهاجرين الكروات حوالى مليون شخص.

الشيخ شوقى من انصار الخيار المسلح.. ليس الآن فقط، فذلك خيار الجميع تحت وطأة القصف الصربى، انما الرجل المسلم الكرواتى اكتشف مبكرا جدا ضرورة تسليح الشعب البوسنوى تحسبا لاى طارىء فالتجربة التاريخية القديمة تثبت تعطشا صربيا لدماء المسلمين، والتجربة التاريخية الحديثة منذ العام الماضى تثبت جدوى استخدام الكروات للسلاح لكبح جماح الشهوة الصربية فى العدوان ومحاولة بسط النفوذ خارج الحدود.

من ابرز جهود رئيس لجنة الطوارىء لدى زغرب سعيه لاستقبال الجرحى العسكريين وعلاجهم. يقول عن هذا الموقف الكرواتى «يتجاوبون معنا ويتولون تلك المسئولية بدون مقابل. ويتوزع الجرحى بين المستشفى العسكرى وسبعة عشر مستشفى مدنيا فى العاصمة الكرواتية زغرب، الارقام الرسمية عن القتلى تشير الى اربعة آلاف قتيل●. اعتقد ان الرقم الحقيقى عشرة آلاف قتيل. يؤكد ذلك اسلوب القتل الجماعى والتدمير الشامل الذى يشنه الصرب خاصة على الحدود المشتركة مع البوسنة. حدث ذلك على جانبى نهر (درينا) فى مدن عديدة مثل بيلينا وزفورنيك وسرفليتسا وفوتشا وبراتوناتش. هذه المدن اخليت جميعا من المسلمين بعد ان بدأ

● حتى ٢٦ مايو ١٩٩٢

القتال فى عيد الفطر يوم الرابع من ابريل. اختيار التوقيت جاء متعمدا ليتزامن مع عيد المسلمين.

● دوركم كهيئة اسلامية فى زغرب؟

●● نقوم بالتوعية الدينية وسط المهاجرين الذين بلغ عددهم فى كرواتيا وحدها ٢٧٠ ألف شخص من النساء والاطفال والكهول، يضاف اليهم عدد المسلمين من ابناء كرواتيا البالغ ٢٠٠ ألف شخص ويمثلون نسبة ٢٪ من اجمالى عدد السكان ويقوم على خدمتهم ١٤ إماما، سعينا منذ اليوم الاول لتدفق المهاجرين الى توفير سبل المعيشة من مسكن ومأكل واحتياجات طبية، جاء بعدها دور التوعية الدينية، حيث تم تشكيل فريق من الائمة يتكون من ٥٤ اماما بعد ان أضيف اليهم ٤٠ اماما. رافقوا المهاجرين فى رحيلهم من البوسنة والهرسك، تم توزيعهم على المساجد والمدن وتجمعات المهاجرين عموما، كما بدأنا مؤخرا باعداد كتاب اسلامى خاص لتوعية المهاجرين وسط هذه الظروف الاستثنائية.

● أنتم مرتبطون بشكل او بآخر، بالواقع الكرواتى وما يعانيه اصلا بسبب الحرب؟

●● كرواتيا لديها اصلا ٧٠٠ ألف مهاجر من داخل كرواتيا من جراء الحرب مع صربيا التى تحتل ثلث البلاد، واقترب العدد من المليون بعد لجوء المهاجرين البوسنويين الى كرواتيا، هؤلاء يزداد حجمهم يوميا بمعدل يتراوح بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠ مهاجر يمثل المسلمون نسبة ٩٥٪ منهم، فالمناطق البوسنوية التى يقطنها الكروات متحررة من سيطرة الصرب وتقع فى الهرسك الغربية.

● والاتصال مع كرواتيا على الصعيد الرسمى؟

●● التقى مع نائب رئيس الوزراء الكرواتى المسئول عن شئون النازحين للتنسيق والتشاور وبحث اوضاع المهاجرين.

● ملامح الحرب حاضرا ومستقبلا؟

●● هناك تدمير صربى لمدن وقرى البوسنة. مازالت الحرب - وفقا لتصورى - فى بدايتها، المشكلة لن تنتهى فى المستقبل القريب. اذا لم يحدث تدخل عسكرى اجنبى، اعتقد ان الحرب ستستمر حوالى سنتين، فالحقد الصربى على الاسلام والمسلمين لا يعطى فرصة لنهاية قريبة للحرب، فى المقابل يتواصل رد الفعل البوسنوى - الكرواتى عبر تقوية الدفاعات العسكرية. كل ذلك يشير الى امتداد الحرب لوقت طويل.

● ماذا عن امكانية السلام؟

●● لا عودة للسلام إلا بتحرير كامل للبوسنة والهرسك، اذا اراد المسلمون والكروات المهاجرون العودة الى البوسنة، لابد من تحريرها من العدوان الصربى اولا.

● لماذا تقف بجانب التدخل العسكرى الاجنبى؟

●● قناعتى ان الحل الحاسم يقتضى تدخلا عسكريا اجنبيا وسريعا، جمهورية صربيا التى بدأت الحرب لاتزال قوية جدا. جيشها يحتل المرتبة الرابعة بين جيوش اوروبا، اغتصب اسلحة من

حق البوسنة والهرسك، هذا الجيش لم يتم بناؤه بمال وخبرات الصرب وحدهم، انما شاركت فيه جميع شعوب يوغوسلافيا السابقة، كل ذلك تم الاستيلاء عليه ومصادرته لصالح بلجراد، يضاف الى ذلك قسوة وبشاعة الجرائم الصربية على يد الجيش والميليشيات (التشتنيك) سواء فى البوسنة أو كرواتيا.

● واذا اشتعلت جبهتا كوسوفو والسنجق؟

●● تتكرر حروب البلقان بشكل مصغر نسبيا.

● تتكرر حروب البلقان مرة اخرى ١٩١٢ ـ ١٩١٤؟

●● لا اعتقد.. الاوروبيون مدركون لخطر توسيع دائرة الحرب.

● كيف ترى الموقف مع اعلان جمهورية كوسوفو المستقلة؟

●● ارجح اشتعال الحرب وتطاير شررها الى السنجق.

● الاحتمالات المستقبلية لواقع مسلمى يوغوسلافيا السابقة؟؟

●● لدينا مستقبل جيد إن شاء الله — رغم الحرب ـ اذا ادركنا ان القوة هى لغة التعامل مع عدو يستولى على اراضى المسلمين.

● النموذج الكرواتى يفسر ما تذهب اليه؟؟

●● نعم استخدم الكروات القوة، فاقتلعوا جذورهم من ٧٠٪ من اراضيهم. انه الحل الوحيد.

● ومصادر التسليح؟

●● لابد ان يبحث عنها البوسنويون بانفسهم؟

● وتسليم الجيش الصربى (الاتحادي) لاسلحته قبل مغادرة الثكنات العسكرية فى سراييفو؟

●● خدعة.. تركوا صناديق فارغة ومئات البنادق القديمة.

● والدعم العربى والاسلامى؟

●● هام وحيوى.. لكن العمل الحقيقى هو جهاد ابناء البوسنة انفسهم بالروح والمادة، لست من المؤمنين بان القوة تأتى من الخارج. المصدرالمادي الاساسى هو ابناء الشعب وايمانهم ثم تأتى بعده العوامل الخارجية ولها دورها الاساسى ايضا.

● مايحدث اختبار لشعب البوسنة؟

●● اختبار حقيقى. اما ان يستحقوا الدولة، واما ان يفشلوا، يجب ان يمروا بنفس المرحلة التى مر بها الكروات المليئة بالدم والنار والتضحية.

● كان رهان القيادة البوسنوية رهانا على السلام!

●● خطأ! القانون الازلي هو المحافظة على السلام بالقوة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة».. لقد ذبحونا كالابقار والغنم على امتداد مجرى نهر (درينا) بطول ٣٠٠ كيلومتر.. من المسئول عن هذا؟!

● الرئيس علي عزت بيجوفيتش؟

●● احترم جدا الرئيس، لكن سياسته لم تنجح.

● الرئيس لم يكن مطلق اليد.. لديه اقلية صربية ضخمة تليها اخرى كرواتية؟

●● يجب الا نسلم بالواقع بزعم انه معاكس لرغباتنا. يجب النزول عند ارادة الشعب. كان على الاخير أن يفرض رغبته على الرئيس. الرغبة في التسليح والاستعداد. الرسول صلى الله عليه وسلم نزل عند رغبة الصحابة في اختيار موقع غزوة أحد. الرئيس علي عزت سجن وعذب على يد الصرب. يعرفهم اكثر مني. لم ينس بعد مذبحة نهر (درينا) التي وقعت سابقا في التاريخ، وها هي تتكرر اليوم. قتل الصرب في مدينة فوتشا وحدها ٥ آلاف مسلم وحرقوا كل ماطالته ايديهم.

اضيف ان المسئولية الحقيقية تقع على عاتق المحيطين بالرئيس من المسلمين والكروات على السواء، كيف افلتت من بين ايديهم سبل تعزيز مواقعهم ولديهم حقائب وزارات الدفاع والداخلية والخارجية والمالية.

● ودورك بمواجهة هذا التيار؟

●● نبهناهم في كرواتيا منذ وقت مبكر بأن الحرب لا مفر منها.. لم يلقوا بالا لهذه التحذيرات.

● الوقت الآن متأخر جدا؟

●● المشكلة البوسنوية الرئيسية ليست الروح الجهادية التي تتوافر والحمد لله، هناك حالة من التخبط العسكري اكتشفتها بعد عودتي من جولة في الجبهة استمرت عشرة ايام*. زرت جميع المدن ووصلت الى مسافة ٤ كيلومترات من سراييفو. اكتشفت ان كل مدينة تدافع عن نفسها منفردة بمعزل عن المدن الاخرى ودون تنسيق، لا تريد ان تنتشر خارج حدودها لتعاون جاراتها وتمد خطوط دفاعاتها لتتواصل مع بقية الخطوط، يوجد عسكريون بوسنويون محترفون وخبرات عسكرية، لكنها مفتتة ومقطعة الاوصال.

● والحل؟

●● تشكيل قتالي من لواءين الى ثلاثة يتكون من ١٥ ألف مجاهد كقوة مستقلة تعمل للدفاع عن جميع اراضي البوسنة بشكل حر ومتحرك حسب مقتضيات المعارك، ولا تقتصر جهودها على الدفاع عن مدينة بعينها، فانهماك كل مدينة بالدفاع عن نفسها منفردة يعطي للصرب فرصة الالتفاف حولها وفرض الحصار، ويحول دون شن هجمات مضادة كبيرة، يعزز ذلك نوعية السلاح الصربي الذي يشمل الطيران والمدفعية والدبابات.

● من مظاهر حالة التخبط أو الفوضى اذا جاز التعبير؟

●● يوجد في بعض المدن ألف مجاهد أو ألفان، في البعض الآخر لا يوجد أي مجاهد، كذلك لا نعرف عدد المدافعين عن سراييفو، المسلمون بوغتوا بالحرب، صدموا صدمة كاملة.

● حالة الصدمة مستمرة؟

●● حسبما لاحظت في جولتي، بدأوا يستيقظون. تأتينا كل يوم عشرات الوفود طالبين

الاسلحة.

● لديكم اسلحة ثقيلة؟

●● بدأنا الاستيراد مؤخرا.

مصطفى سليموسكي

الشيخ يعقوب مصطفى سليموسكى رئيس العلماء والمجلس الاعلى للطائفة الاسلامية فى يوغوسلافيا السابقة يعد أعلى مرجع دينى رسمى لسبعة ملايين مسلم يتوزعون بين الجمهورية الأم البوسنة والهرسك وبقية الجمهوريات الست، غادر سراييفو بعد حوالى ثلاثة اسابيع من العدوان الصربى، ولم يتمكن من العودة اليها، آثر فى ظل هذا الوضع ان يمارس مهامه خارج الميدان مضطرا واتخذ المركز الاسلامى فى زغرب مقرا مؤقتا لمتابعة الشئون الدعوية فى ذلك الظرف الصعب.

يتنقل رئيس العلماء فى الداخل والخارج بما تمليه عليه مصالح تلك الامة التى تمثل خط الدفاع الاول عن المسلمين فى الشمال وفى قلب اوروبا. التقى ببابا الفاتيكان، حيث تناقشا سويا حول اوضاع البوسنة والهرسك والحرب المستعرة على ارضها. وكان الاخير قد دعا اوروبا اكثر من مرة الى التدخل لحماية الجمهورية المسلمة، كما بحثا سويا امكانية التعاون كهيئات دينية، خاصة وان كرواتيا الكاثوليكية التى تستقبل المهاجرين المسلمين تتبع الفاتيكان، الى جانب ذلك التقى الشيخ يعقوب بقيادات المسلمين ويشارك بفعالية فى الحوار الدائر واتخاذ القرارات الهامة. ويستقبل فى الوقت نفسه العديد من الوفود الشعبية القادمة من العالم العربى والاسلامى شارحا لهم ابعاد القضية واهداف حرب الابادة الصربية، ومؤكدا على ضرورة دعم المسلمين فى كل مكان لاخوانهم فى البوسنة والهرسك وبقية جمهوريات يوغوسلافيا السابقة.

يتحدث رئيس المجلس الاعلى للطائفة الاسلامية عن غد المسلمين فى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة قائلا: «دخلنا مرحلة صعبة جدا فى تاريخ شبه جزيرة البلقان، المنطقة معرضة تاريخيا للانفجار فى ظل تركيبة سكانية متعددة الشعوب والديانات، لذلك شهدت صراعات شهيرة تركت اثارها على العالم اجمع، خيار المسلمين الوحيد اليوم هو نيل الحرية الكاملة عام ١٩١٢ كانت بعض مناطق البلقان خاضعة للنفوذ العثمانى، وعند توقيع (اتفاق برلين) كانت البوسنة والهرسك منطقة عثمانية، الاحقاد على البوسنويين والمسلمين عامة تعود الى ايام سيادة الدولة العثمانية فى المنطقة، لذلك يعتبرون المسلمين هنا طائفة تركية او عثمانية بقيت فى المنطقة بعد رحيل الفاتحين، هذا الادعاء غير صحيح، فمسلمو يوغوسلافيا ينتمون فى اغلبهم للمنطقة ولم يفدوا اليها من الخارج، خطورة الوضع علاوة على اشتعاله فى البوسنة، متمثل فى امكانية اتساع دائرة الحرب لتشمل السنجق وكوسوفو ومقدونيا «اذا حدث ذلك ستشهد حربا بلقانية جديدة».

● هل يمكن ان يتكرر سيناريو الحرب العالمية الاولى وتندلع شرارة الحرب من سراييفو والبلقان عامة؟

●● هناك احتمال لوقوع مثل هذا السيناريو، قديما قتل ولى العهد النمساوى فى سراييفو،

وكان ذلك بداية الحرب العالمية الاولى، فى الحرب العالمية الثانية، كان للمنطقة شأن كبير. كما ان كوسوفو ستستقل. إذ لا يمكن ان تبقى داخل صربيا، فهناك نزاع عميق وحقد صربى قديم.

● ما يحدث الآن يفسره الاسلاميون بأنه فى جزء منه راجع الى انسحاب الاسلام من مساحة كبيرة من الحياة اليومية للمسلمين فى البوسنة وبقية انحاء يوغوسلافيا السابقة!

●● المحنة عامة، بورما.. الفلبين.. فلسطين وغيرها. اكثر من جرح فى العالم الاسلامى. هذا اختبار من الله عز وجل لتستقيم الأمة على طريق الاسلام، لا يمكن اغفال العزلة التى عشناها طويلا عن العالم الاسلامى، العالم الاسلامى نفسه كان واقعا تحت سيطرة الاستعمار الاوروبى المباشر، كما دخلت الدولة العثمانية مرحلة (رجل اوروبا المريض)، نحن نعيش - كذلك - فى وسط مسيحى متعصب تصاعدت حدته فى السنوات الاخيرة، ولا ينسينا هذا الواقع الضرب المنظم الذى وجهته الشيوعية للاديان مع التركيز الشديد على الاسلام بصفة خاصة، اذا اخذنا كل ماسبق فى الاعتبار، سنرى ان الذى حدث لم يأت فقط بسبب نقص العلم والعمل بالدين. الامر متعلق ايضا بالظرف المحيط والتحولات التى شهدتها المنطقة، من الطبيعى ان الجسم كله يتأثر اذا مرض أى عضو فيه.

● دور هيئة الطائفة الاسلامية فى هذا الميدان؟

●● بدأ المسلمون منذ حوالى عشرين عاما وبخاصة هيئة الطائفة الاسلامية بتطوير وتنشيط دورها الاسلامى وسط ظروف صعبة جدا يهيمن عليها الفكر والنفوذ الشيوعى، افتتحنا المدارس الثانوية الاسلامية وكلية الدراسات الاسلامية قبل ١٢ سنة، ابتعثنا عددا كبيرا من ابناء المسلمين للدراسة فى جامعات الدول الاسلامية، خصوصا الازهر الذى كان له شأن واضح فى هذا المجال، العام الحالى● لدينا اكثر من ١٢٠ طالبا فى جامعة الازهر وحدها، واعداد اخرى فى الجامعات الاسلامية بالسعودية، وتونس، والجزائر والسودان وتركيا.

● هل يتواءم حجم البعثة مع عدد المسلمين؟

●● نطلب من جانبنا منحاً اكثر والمزيد من المساعدات لتطوير الدراسات الشرعية فى مؤسساتنا التعليمية، بما يتناسب وعددها البالغ سبعة ملايين نسمة من اجمالى عدد سكان يوغوسلافيا السابقة ومقداره اربع وعشرون مليون نسمة، نحن اكبر مجموعة اسلامية فى اوروبا، شرحنا للمسئولين فى العالم الاسلامى اهمية بعث دور المسجد والمؤسسات التعليمية الاسلامية، ليقوم المسجد بمهمته الحقيقية كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

● أثرت الحرب على الشيوعيين باعتبارهم أهم رموز المرحلة السابقة؟

●● الحرب فتحت عيون الناس حتى هؤلاء الذين انضموا يوما ما للحزب الشيوعى، بعضهم غير فكره بعد دعاية اشرفت عليها الدولة لفترة اقتربت من الخمسين عاما، هذا البعض تبنى منهجا مكتملاً غير منقوص، عودته للاسلام سريعة وحاسمة بعد اكتشاف حالة الغيبوبة التى عاشها طويلا، رأى ان الصرب لم تغادرهم رغبة مدمرة فى احكام السيطرة على الآخرين، انتبه الى حقيقة

● عام ١٩٩٢

الروح الاسلامية ودورها، الحرب ـ ايضا ـ جعلتنا ننخرط فى سلك الدفاع عن الاسلام وسط اوروبا المسيحية، ثم عن انفسنا داخل منطقة البلقان.

● بعض اسماء لقيادات شيوعية عادت الى حظيرة الاسلام!

●● اذكر بعض الحالات فى الجمهورية التى جئت منها (مقدونيا) مثل فخرى كايا احد اعضاء هيئة الرئاسة وقت الحكم الشيوعى، تحول الآن الى الاسلام وانتمى الى احد الاحزاب الاسلامية، ويوجد فى مقدونيا احزاب عديدة للمسلمين مثل الحزب الديمقراطى الالبانى، ففى مقدونيا كل الالبان مسلمون بنسبة مائة فى المائة، هناك ايضا الحزب الديمقراطى التركى، وحزب الشعب، وحزب العمل الديمقراطى، الشباب فى سائر انحاء يوغسلافيا (السابقة) يقبل الآن على الاسلام جنبا الى جنب مع صفوة المثقفين مثل اساتذة الجامعات، يزدادون ايمانا بدينهم، ومنهم من يتطوع للعمل فى الهيئات الاسلامية.

● رأيك فى محنة الحرب والمذابح؟

●● المحنة نعمة من الله يثبتنا ويقوى بها انفسنا على طريق الاسلام.

● واقليم السنجق؟

ــ سيكون جزءا من كوسوفو، وما ينطبق على كوسوفو، ينطبق على السنجق، الاخير يمكنه ان يصبح اقليما يتمتع بالحكم الذاتى داخل جمهورية كوسوفو. انضمامه للبوسنة غير ممكن، لان المجموعة الاوروبية تشترط عدم تغيير الحدود الداخلية للاعتراف بالدول المستقلة حديثا.

● عودة للعالم الاسلامى.. تصورك على نحو اكثر تفصيلا، لتحركه ازاء قضيتكم؟

●● نطلب منه التدخل لدى مجلس الامن من اجل ارسال قوات دولية الى البوسنة لحمايتها من العدوان الخارجى، لابد ان يتحرك العالم الاسلامى اليوم قبل الغد، انا لا اتكلم عن هزيمة، فنحن لا نفكر فى مجرد امكانية وقوعها، اقصد فقط تزايد عدد الشهداء والدماء المراقة، كما يجب تدعيم جهود الاغاثة سواء باتجاه داخل البوسنة او خارجها، يتوازى هذا العمل مع جهد اعلامى مكثف فى مواجهة دعم مادى اعلامى صربى وكرواتى للاقليتين الصربية والكرواتية داخل البوسنة والهرسك.

● واعتراف بعض الدول الاسلامية بيوغوسلافيا الجديدة او يوغوسلافيا الثالثة؟

●● يجب ألا يتم الاعتراف بها.. انها دولة دموية تتبع سياسة عدوانية، اقصد بذلك الحكومة دون الشعب، سياستها ثابتة تهدف الى ابتلاع البوسنة والهرسك حاليا او مستقبلا، الاعتراف يعنى كذلك ابتلاع كوسوفو والسنجق وهما يضمان نحو مليونين ونصف المليون مسلم. فى بلجراد يوجد خمسون الف مسلم لا يعرف أى مصير يمكن ان يحيط بهم.

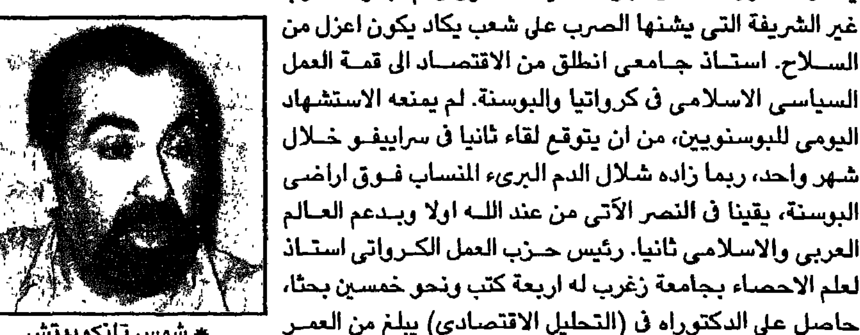
● كيف تفسر اشتراك الشيخ حمدى يوسف مفتى بلجراد فى حفل اعلان يوغوسلافيا الجديدة (صربيا والجبل الاسود)؛

●● اتفهم تماما موقفه واعرف مقدار الضغوط الصربية الواقعة عليه.. لذلك لا أطلب منه اكثر

مما يقدر عليه فى مواجهة تهديدات يعلمها الجميع، المؤكد انه ينكر سياسات صربيا بقلبه.

شمس تانكوبيتش

د. شمس تانكوبيتش رئيس حزب العمل الديمقراطى فى كرواتيا وعضو قيادة الحزب فى البوسنة يحمل محاوره معه الى اجواء شديدة التفاؤل رغم اجواء الحرب غير الشريفة التى يشنها الصرب على شعب يكاد يكون اعزل من السلاح. استاذ جامعى انطلق من الاقتصاد الى قمة العمل السياسى الاسلامى فى كرواتيا والبوسنة. لم يمنعه الاستشهاد اليومى للبوسنويين، من ان يتوقع لقاء ثانيا فى سراييفو خلال شهر واحد، ربما زاده شلال الدم البرىء المنساب فوق اراضى البوسنة، يقينا فى النصر الآتى من عند الله اولا وبدعم العالم العربى والاسلامى ثانيا. رئيس حزب العمل الكرواتى استاذ لعلم الاحصاء بجامعة زغرب له اربعة كتب ونحو خمسين بحثا، حاصل على الدكتوراه فى (التحليل الاقتصادى) يبلغ من العمر خمسين عاما، ابن لاسرة بوسنوية عريقة الجذور، ولد فى احدى المدن الواقعة على الحدود المشتركة بين البوسنة وكرواتيا، توفى والده بعد ولادته باحد عشر يوما فاعطته الاسرة اسم الوالد، الشقيق الاصغر لثلاثة اشقاء، متزوج، وأب لهارون وحارث.



* شمس تانكوبيتش

يتحدث عن الاحتمالات القائمة امام البوسنة والهرسك بقوله ان هناك احتمالين «الاول: قيام الاسرة الدولية بدورها خاصة مع ادراكها حجم المشكلة، وامكانية حدوث التدخل العسكرى بعد فرض الحظر، اذا لم يتم التدخل، يبرز الاحتمال الثانى وهو وقوع نزاع طويل فى البلقان ربما امتد لعشر سنوات».

● على نمط حروب البلقان ١٩١٢ ـ ١٩١٤؟

●● لا اعتقد. واقع اليوم سيختلف تماما عن العقد الثانى من القرن الحالى، عند تأسيس يوغوسلافيا الاولى كان المسلمون خارج الدائرة. ولم يشاركوا فى تأسيس الدولة التى تحطمت بحمد الله، يوغوسلافيا الثانية شاركنا فى تأسيسها وتكوينها من ست جمهوريات، غير انها اعترفت بخمس امم باستثناء امتنا المسلمة، كانت الجمهوريات هى صربيا ومقدونيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا. دولة اليوم الثالثة يختلف وضعها تماما، فهناك دولة البوسنة والهرسك المستقلة المعترف بها، حيث يعيش المسلمون كاغلبية، نحن اليوم امة ذات كيان سياسى وهذا امر مؤكد، هذا الواقع يحمل عنصرا جوهريا جديدا يختلف عن الدولتين السابقتين.

● انت رئيس حزب العمل الديمقراطى فى كرواتيا، هل تنظر الى حزب العمل الديمقراطى فى البوسنة والهرسك كحزب أم بالنسبة لكم؟

●● انا لست فقط رئيسا للحزب فى كرواتيا، لكنى كذلك عضو فى قيادة الحزب بالبوسنة والهرسك، على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة والهرسك هو رئيسى أنا ايضا، حقيقة البوسنة

دولة وكرواتيا دولة اخرى، لذلك يمكن لحزبنا ان يتصرف بحرية وفقا لرؤيته الخاصة واوضاعه فى كرواتيا، بما لا يعنى انفصالنا عن الحزب الام فى سراييفو فى اطار العقيدة الواحدة التى تربط بعضنا البعض.

● بحسابات القوة العسكرية، هل تكفى القوة الذاتية للبوسنة فى مواجهة احد افضل الجيوش الاوروبية؟

●● يصعب الاجابة باختصار على هذا السؤال، ويمكن تفصيل الاجابة من خلال المدى الزمني. إذ انه بدون تأثير ودعم متعاظم من الاسرة الدولية، يصعب علينا جدا الاستمرار فى رد العدوان، على المدى البعيد سننتصر يقينا بمدد من الله.

● ثار مؤخرا كلام عن اليهود البوسنويين بعد اندلاع الحرب؟

●● انا سعيد باثارة هذا الموضوع. يبدو ان الكثيرين نسوا واقع اليهود معنا عبر التاريخ منذ طردوا من الاندلس مع المسلمين قبل خمسة قرون، اتخذ اليهود الدولة العثمانية وطنا ثانيا خاصة فى البوسنة والهرسك، مثل اليهود نسبة ١٥٪ من سكان سراييفو قبل الحرب العالمية الثانية، قل عددهم بعد اندلاع الحرب، ظل عدد منهم فى البوسنة والهرسك وشارك بفاعلية فى المؤسسات والهيئات العامة، تغيب الاحصائيات الدقيقة عن تلك الفترة، وتشير بعض التقديرات الى تراوح عددهم بين ٢٠٠٠ و٥٠٠٠ شخص فى ذلك الحين، واكبر كثافة يهودية داخل يوغوسلافيا السابقة تمركزت فى البوسنة والهرسك، يمكن القول ـ نتيجة لذلك ـ انهم حققوا اندماجا حقيقيا فى المجتمع البوسنوى، خلال الخمسة قرون التى عاشوها معنا لم تقع اية مشاكل أو سوء فهم، كنا نتلقى احداث فلسطين بحماسة ظاهرة دون ان ينعكس ذلك ابدا على علاقاتنا مع الاقلية، يكفى ان نذكر ـ بهذا الصدد ـ ان سراييفو هى المدينة الوحيدة فى العالم التى تضم مسجدا وكنيسة ومعبدا فى مساحة قدرها مائة متر مربع فقط، وفى اول مؤتمر عام لحزبنا بسراييفو وجهنا الدعوة الى الحكومة الاسبانية لندرس سويا ابعاد اليهود من الاندلس بطريقة وثائقية.

● ترى ـ اذن ـ ان الشخصية الاسلامية للبوسنة كفيلة بتكريس مبدأ التسامح مع الأديان الاخرى؟

●● بالطبع، فالمسلمون يشكلون اغلبية السكان، وينعكس ذلك على طبيعة المجتمع وشخصيته العامة.

● ترددت انباء عن جسر جوى (اسرائيلى) لتهجير اليهود البوسنويين!

●● اقيم هذا الجسر فى بداية الحرب، وخصص لتهجير بعض النساء والاطفال.

● كيف تفسر الاتفاق الذى وقعه الصرب والكروات البوسنويون فى مدينة جراتس النمساوية من خلف ظهر المسلمين؟

●● اخشى ان هذا ليس اوان فتح الموضوع. مع ذلك آمل ان تأتى اللحظة المناسبة التى اقدر

فيها على تناول تلك الخطوة، عموما فان المدخل الرئيسى لفهم اتفاق جراتس. ان تحرك شعبنا منذ ثلاث سنوات بقيادة الرئيس على عزت بيجوفيتش، احدث صدمة لكل من الصرب والكروات معا، كلاهما فكر فى انه قادر على تحييد حركتنا، مابين متطرفى الصرب ومتطرفى الكروات شاع أمل فى محو البوسنة من فوق الخريطة، بقيت البوسنة وان كانت تمر بأزمة حقيقية ذات طابع دموى، حصلنا على الاعتراف الدولى وعضوية الامم المتحدة، ولا توجد قوة تستطيع اعادة التاريخ مرة اخرى للوراء، فنحن ندافع عن البوسنة ومستعدون دائما للدفاع عنها.

● انتم بهذا المعنى امة قديمة حديثة فى آن واحد!

●● الشعب البوسنوى او البوشناقي شعب قديم، وطننا يحمل اسم البوسنة والهرسك دولتنا اسمها البوسنة والهرسك تحتضن ثلاثة اديان، حين اتحدث عن ١٦٥ سنة مضت، اتذكر أن هويتنا السياسية تعرضت للتناسى. قبل العودة اخيرا الى دولتنا المعترف بها، يمكن ان اجيب على السؤال بنعم، نحن دولة قديمة حديثة.

● تعليقك على رد فعل العالم العربى والاسلامى؟

●● راض تماما عنه، الامارات.. السعودية.. الكويت، وغيرها تقوم بدور نشط ضخم، دور هام جدا ومؤثر خصوصا فى مجال اعمال الاغاثة.. المركز الاسلامى فى زغرب الذي يأوى اليه المهاجرون والمهتمون بقضيتنا اقيم اصلا بمعونات الدول العربية والمسلمة، اذكر ايضا الدور الفاعل لمنظمة المؤتمر الاسلامى فى تحريك القضية، كذلك الدول التى ساندتنا وسحبت سفراءها من بلجراد واعترفت بالبوسنة والهرسك مع كرواتيا، سياسيا يعد موقف العالم الاسلامى مرض جداً، ونرى ان تحرك مجلس الامن جاء فى جانب منه كرد فعل لضغط الدول الاسلامية لصالحنا، بعد ذلك ننتظر تطوير الدعم والتأييد للتصدي للتدمير المنظم الذى يقوم به الصرب لسراييفو وسائر انحاء البوسنة.

سليمان اوجليانين

د. سليمان اوجليانين، طبيب اسنان يفيض ثقة وحماسا لدرجة تدهش وتثير استغراب حتى بعض البوسنويين انفسهم، عمره ٣٨ عاما.. رئيس حزب العمل الديمقراطى فى السنجق، ذلك الاقليم البوسنوى المهدى شطرين الى صربيا والجبل الاسود، اجمالى عدد السكان نصف مليون نسمة من بينهم ٣٥٠ الف مسلم بنسبة ٧٠٪ من العدد الكلى، يمثل اقصى درجات التعامل الواقعى مع الحرب المستعرة بين الصرب والمسلمين، مرجع الواقعية، ادراكه لاهمية فرض الامر الواقع على الارض وعلى موائد الدبلوماسية. اقليمه او بلده الصغير عاصمته «نوفى بازار»، تبلغ مساحته ٨٦٨٧ كيلومترا مربعا، يوجد فى العاصمة وحدها ١٨ مسجدا متبقية من ٢٨ مسجدا منذ عام ١٩١٢، حين بدأت الهيمنة الصربية تفعل مفعولها وتحاول طمس ملامح الهوية الاسلامية فى طريق الابادة الدينية اقفلوا مدرستين اسلاميتين ثانوية وعليا، وهدموا الكثير من المؤسسات الاسلامية الاخرى لالغاء الصفة الاسلامية عن الاقليم. د. سليمان الخامس بين ٧ اشقاء ابن لعامل باحدى الشركات، وربة بيت. هاجر جده من مدينة متروبيتسا فى كوسوفو بعد رحيل العثمانيين ومصادرة اراضيه، الى «نوفى بازار». حصل على الابتدائية من متروبيتسا وبكالوريوس

الطب من جامعة بريشتينا عاصمة كوسوفو، التحق بالدراسات العليا وانتهى من ثلاثة فصول من اطروحة الدكتوراه وجاءت حرب البوسنة واحداث السنجق لتحول دون اتمام الفصل الرابع والاخير.

رئيس حزب العمل الديمقراطي في السنجق يشغل ايضا منصب نائب رئيس الحزب في البوسنة والهرسك رئيس الجمهورية علي عزت بيجوفيتش، يؤمن حتى النخاع بالبقاء في الداخل رغم كل المخاطر الصربية واحتمالات الاغتيال. هاجر اهل زوجته من بغداد منذ عدة قرون الى السنجق، انجبت له ثلاث بنات، صايدة، وسامرا، وبينهما صايمة التي انجبتها امها وهي صائمة في اول ايام رمضان. يقول ان اسرته كلها، والده ووالدته واشقاءه وزوجته وبناته يعيشون في الداخل. ويضيف «لن يهاجر شعبنا تحت اي ظرف ولن تحدث هجرة من السنجق مرة اخرى، واذا حدث ذلك سأكون آخر من يهاجر، واذا قتلنا فلنقتل في اراضينا». الدارس لتاريخ اقليم السنجق يعرف عن هذا الشعب انه مجاهد محب للجهاد والقتال دفاعا عن الدين، لذلك يجيء د. سليمان - كقيادة - ترجمة حقيقية لواقع رجل الشارع البسيط.

حول تقييمه للموقف الاوروبي والغربي عامة من قضية البوسنة والهرسك يقول: «نعرف ان اوروبا والغرب عموما يرمون الى عدم تمكين المسلمين من تكوين دولة خاصة بهم في مناطقهم، الاكثر من ذلك ان هناك نية لابادتهم وازالة وجودهم من يوغوسلافيا السابقة، ونعرف ان الصرب اليوم لهم دولة والكروات لهم دولة، لكن المسلمين يعانون الأمرين من اجل خروج مشروع دولتهم الى الواقع سليما معافى، المثير للانتباه ان المجموعة الاوروبية وغيرها تدعو عمليا الى تقسيم البوسنة حسب الوحدات القومية لنسف اي محاولة لايجاد كيان مستقل وقوي للمسلمين».

● واختياركم في اطار هذا التحليل؟

●● ليس امامنا سوى ان نحرر ونحافظ على اراضي المسلمين الثابتة لهم تاريخيا قبل اندلاع الحرب. علينا باللجوء الى القوة لنفرض حلنا القائم على الحق والمشروعية، الغرب - من جهة - بعد اسقاط الشيوعية يهدف الى اضعاف المسلمين واسقاطهم، ودروس القرن العشرين والقرون الماضية تؤكد ان القوة مفتاح الحصول على الحقوق المشروعة واكتساب احترام الآخرين.

● تشترط اوروبا عدم احداث اي تغيير في الحدود الداخلية للدول كشرط للاعتراف بها، الامر الذي جرى تطبيقه في حالة الاعتراف بالبوسنة والهرسك، كيف يمكن المواءمة بين ذلك الوضع والطموحات الرائجة في السنجق حول وحدة مناطق المسلمين في يوغوسلافيا السابقة، اقصد بذلك البوسنة والهرسك والسنجق وكوسوفو؟

●● امامنا خطوتان في هذا المجال:

الاولى : استقلال الوحدات الثلاث، اي البوسنة والهرسك والسنجق وكوسوفو.

الثانية: العمل الدءوب لتحقيق الوحدة وتأسيس دولة واحدة للمسلمين في المنطقة. بدأنا عملنا مبكرا في السنجق عن بقية اشقائنا، اجرينا الاستفتاء الشعبي العام قبل حوالي عام، صوت الشعب لصالح الاستقلال، لم نشأ استكمال بقية المراحل الدستورية كي لا نضر او نسيء للتجربة

البوسنوية الرامية آنذاك الى اعلان الدولة المستقلة، فنحن لا نريد القيام بأى تصرف يضر بسراييفو فى المحافل الدولية، يعنينا استقرار البوسنة والهرسك فى المقام الاول ثم نأتى نحن فى المرحلة التالية.

● يفهم من ذلك انكم تنظرون للبوسنة والهرسك باعتبارها الدولة الأم؟

●● بالضبط. البوسنة بالنسبة لنا هى الدولة الأم، لذا نحرص على تعزيز الاعتراف الدولى بالبوسنة من خلال ضبط حركتنا، ونفهم - فى الوقت نفسه - أن الغرب لن يتحمس او يوافق على خطوة تدعم مصالح المسلمين، بين الطموح والواقع نكافح للابقاء على البوسنة ضمن حدودها المعترف بها دوليا كجمهورية مستقلة ذات سيادة دون ان نحملها عبء حركتنا سواء فى السنجق أو كوسوفو.

● تقدم كوسوفو نفسها للعالم بطرح قومى علمانى، الا يتعارض ذلك مع ما تذهب إليه من طرح اسلامى؟

●● فكرة اقامة الوحدة بيننا قائمة وسنحققها باذن الله تعالى، لكنى اؤكد مرة اخرى ان الغرب يبذل قصارى جهده ليمنعها، لذلك اخواننا فى كوسوفو يدعون لتأسيس دولة قومية علمانية خاصة بهم، يدركون تماما ان هذا التناول يفتح الطريق امام تأييد غربى لمطالبهم، نحن فى السنجق طالبنا منذ اليوم الاول باقامة دولة اسلامية، لم نلق اى تأييد من الغرب، على العكس منا، تجد البوسنة وكوسوفو موافقة مبدئية من الغرب لانهما قدمتا انفسهما على ارضية علمانية، الشعب الكوسوفوى توجد لديه رغبة عميقة فى توحيد المناطق الثلاث على اساس اسلامى، اننى على ثقة من ذلك، هناك - اذن - فارق فى التعاطى الخارجى الرسمى، والواقع الداخلى الفعلى يتزامن مع تفاؤل باقامة الدولة الاسلامية الواحدة فى نهاية المطاف.

● والمطلوب من العالم الاسلامى؟

●● على العالم الاسلامى ان يقوم بدوره مع الغرب.

● كيف ذلك؟

●● عبر طرح السؤال الرئيسى.. هل الغرب مستعد لتأييد شعب مسلم كالسنجق ينادى بدولة مسلمة؟ هل سيسحب دعمه فى حال اصرار ابناء المنطقة على تبنى الاسلام نظاما سياسيا! المواقف ستتكشف من خلال الاجابة التى ستفرز العدو من الصديق دون لبس، لو وظف العالم الاسلامى ثقله السياسى والاقتصادى معنا لامكن تحقيق الكثير.

● هكذا تقود الحوار الى مأزق، إذ كيف يمكن التوفيق بين البوسنة الثلاثية القومية والطرح الاسلامى للدولة؟

●● لو تتبعنا موقف المجموعة الاوروبية لامكن فهم الامر على نحو افضل، فالمجموعة اعترفت بالبوسنة كدولة مستقلة بشروط عدة من بينها التقسيم الى ثلاث وحدات قومية للمسلمين والكروات والصرب، لذلك يوجهون الدعوة الى على عزت بيجوفيتش لحضور اجتماعات بحث المشكلة بصفته رئيسا للمسلمين وليس كرئيس للجمهورية البوسنوية، الغرب يريد ضرب

المسلمين وازالة وجودهم من المنطقة عبر التوقيع على قرار التقسيم لو لم تستقل البوسنة ـ فعليا ـ كدولة قوية ذات اغلبية مسلمة تمثل الخاصية الطبيعية لمسلمى شبه جزيرة البلقان، لضاع هؤلاء المسلمون، لهذا ارى ان اى سياسى لا يملك الحق فى التوقيع على قرار التقسيم، وحتى مع التوقيع، يظل اى اتفاق غير شرعى لانه ضد رغبة عموم المسلمين بالجمهورية.

● يرى البعض ويتحسس ملامح المحنة وسط الاجواء التى تعيشونها؟

●● حالنا هذا ابتلاء من الله عز وجل، كما هو تكريم منه جل شانه، لقد اضطرنا الظرف الحالى الى التحرك لنقرر مصيرنا والتعامل مع الاحداث بواقعية تأخذ بعين الاعتبار مايحدث فعلا على الارض، وليس مايتمناه لنا الآخرون، علينا بالقتال والمحافظة على وجود المسلمين وحياتهم بالقوة، لابد من الجهاد للابقاء على المسلمين احياء بمواجهة دنس عدوان الصرب والجبل الاسود (مونتينجرو)، اذا امكننا تحقيق ذلك، فالمستقبل يحتمل ـ إن شاء الله ـ توحيد المسلمين بدون حرب بالاستفادة من المصالح الاقتصادية التى اثبتت تجربة العالم اليوم جدواها كعامل توحيد، لو حافظنا على كياننا وقوتنا وطورنا قدراتنا ووثقنا علاقاتنا بالعالم الاسلامى، سيتم تقاربنا معه بشكل طبيعى جدا دون اى مشكلة، وبمقدورنا تحقيق طفرة فى علاقاتنا مع العالم الاسلامى، ربما بعد اشهر قليلة من اعادة ترتيب البيت من الداخل عقب رد العدوان.

● مذابح البوسنة التى يرتكبها الصرب قابلة للتكرار عندكم؟

●● المذبحة التى وقعت وتقع فى البوسنة لن تحدث ابدا فى السنجق إن شاء الله، نعم نحن محتلون من قبل القوات الصربية التى يصل قوامها الى حوالى ٢٠ ألف فرد مزودين بأحدث الاسلحة الثقيلة فضلا عن سلاح الطيران، اؤكد للجميع انه لو اندلع القتال فى السنجق، فلن يستمر اكثر من ٤٨ ساعة، شعب السنجق لن يسمح ابدا بذبحه وقتله، هذا مستحيل.

● لكن السنجق شعب اعزل من السلاح؟

●● ببساطة، سنتتبع الاسباب ونرتب انفسنا لمواجهة المعركة، مجرد سؤالى عن احتمال وقوع مذبحة عندنا على يد الصرب يجرحنى ويزعجنى جدا. انا لا اعترف بذلك، فالمذبحة يجب الا تقع فى صفوف المسلمين، الذي يسمح للآخر بأن يذبحه، لم يقاتل ولم يجاهد، ينقصه الايمان القوى، اؤكد ـ من جديد ـ ان شعبنا لن يسمح بذلك ابدا، يمكن للصرب ان يدمروا قرانا بقصفها من البعد باستخدام السلاح الثقيل، اما ان يأتوا ويذبحوا المسلمين، فذلك أمر غير ممكن.

(التقاطعات والصدامات)

المفصل التاريخي الحاسم الذي تمر به جمهورية البوسنة والهرسك مليء بالتقاطعات والصدامات التي جلبت عليها عبر مئات السنين معاناة شديدة اعلاها الابادة الجماعية وادناها مصادرة الحرية الشخصية. ويحتم الواقع علينا النظر الى العدوان الصربي على سراييفو وسائر المدن البوسنوية مراعاة ذلك السياق التاريخي الذي يشهد بما لا يدع مجالاً للشك ان اعتناق شعب هذا البلد افرز تبايناً ومفارقة وصراعاً مستمراً مع الجيران سواء في بلجراد ام في زغرب. كثيراً ما التقت العاصمتان دفعة واحدة على مبدأ العدوان باتجاه سراييفو، واحياناً ما تفترقان مثلما هو

الحال اليوم●. في كل الأحوال تبقى سراييفو طرفاً يتلقى السهام من غريمين أحياناً أو غريم واحد أحياناً أخرى. سراييفو الجريحة يعرفها البلقان بأنها أهم رمز عثماني أوروبي متبق بعد انهيار الخلافة العثمانية. يعرفها البلقان أيضاً أهم رمز بمساجدها وأئمتها ومدارسها وكذلك بروحها وهويتها. لذلك تعتبر أدبيات الدولة المطلة على البلقان ومن بينها صربيا، كلمة تركي مرادفاً لمسلم ومسلم مرادفاً لتركي.

● أعلن القائد الانفصالي الكرواتي البوسنوي مات بوبان قيام دولة كرواتية جنوب غرب البوسنة والهرسك في الثالث من يوليو ١٩٩٢ وذلك طبقاً لخبر بثته اذاعة سراييفو.

الجحيم الذى تنصب حممه كل يوم على سراييفو وعلى بقية اجزاء الجمهورية يحمل فى طياته عداء لهذا التاريخ وتلك الهوية المطلوب القضاء عليها او على الاقل الابقاء عليها بدون روح. وبالتالى تصبح المصادرة بقوة السلاح عقيدة صربية مشروعة يمكن معها فهم طريقة المعالجة لذلك السعار المنطلق من فوهات مواسير مدافع رابع اقوى جيش فى اوروبا، ومقاومة قوامها قوات الشرطة البوسنية ذات التسليح الخفيف.. جدا.

البوسنة والهرسك تعيش حالة سياسية وعسكرية تستدعى اجراء عملية فصل وتمييز لعناصر الازمة لتتحول عند الرؤية المستحكمة الى صورة واضحة يقل فيها الغموض الى حد كبير. الحرب التى تشنها صربيا بقيادة الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش توصف بالجنون. وهى كذلك من حيث الحجم والكيفية، فى ظل عزوف اوروبى دولى يكتمل معه الهدف الرئيسى وهو تحجيم محاولة انبعاث شعب يبحث عن هويته ليعود للجذور على عكس تجربة اخرى قريبة جدا.. تجربة البانيا التى رفعت الاعلام الغربية مع سقوط الشيوعية. دوى القذائف ونيران الحرائق ودخان القصف يجب الا يصرفنا عن النظر الى البعيد.. الى ما بعد المعارك. مستقبل البوسنة والهرسك التى تتمتع بمزايا عدة لتقديم بديل حضارى فى قلب اوروبا. لكن بعض المحللين ينظرون بعيدا الى آسيا حيث تجربة افغانستان فى ظل سيادة المجاهدين. يرى هؤلاء ان التركيبة العرقية يمكن ان تدمر مشروعا وحدويا يحلم به البعض وقوامه كوسوفو والسنجق والبوسنة. اضافة الى ذلك اى مصير ينتظر الجمهورية المستقلة التى عمد الصرب الى تحطيم بنيتها الاساسية. الواقع الاقتصادى المتردى سيفتح بطبيعة الحال باب المساعدات المشروطة الكفيلة يخنق المشروع الذى تحلم به قيادة واعية لشعب يمثل المسلمين فيه اغلبية نسبية وليست مطلقة.



* أرمين بوهارا

كل هذه التصورات لا يمكن استيعاب مضامينها الا عبر المواجهة البوسنوية ـ الصربية. لذلك جاء الاختيار بالتوجه الى جبهة الحرب حيث قمت بجولة ميدانية فى مدينة بوسانسكى برود المحررة. الرحلة بدأت من المركز الاسلامى فى زغرب. سيارة مدنية يقودها **أرمين بوهارا**. صحفى.. رسام.. شاعر

● أعلن القائد الانفصالى الكرواتى البوسنوى مات بوبان قيام دولة كرواتية جنوب غرب البوسنة والهرسك فى الثالث من يوليو ١٩٩٢ وذلك طبقا لخبر بثته اذاعة سراييفو.

ومقاتل يرتدى بزة عسكرية وحذاء رياضيا. لايحمل اى رتب شأن كافة المقاتلين المسلمين والكروات. خجول.. قليل الكلام الى حد يثير الضجر.. ودود شديد الادب وايضا نائب قائد جبهة بوسانسكى برود. تتوقف السيارة بعد نحو ثلاث ساعات لنحتسى الشاى فى مقهى على الطريق. نستأنف الرحلة لتبدأ مظاهر الحرب على مدى حوالى ساعة ونصف واضحة للعيان. الحواجز الامنية للشرطة والجيش الكرواتى. كان على المقاتل البوسنوى بوهارى ان يبرز تصريح المرور كل مرة مع سماع بعض الارشادات الجديدة احيانا وتحويل الطريق الى طرق اخرى فرعية احيانا اخرى. لم يعد بامكان المرافق الثانى المقاتل سليمان سالشينوفتش ان يضع شريطا للاناشيد البوسنوية الاسلامية فى مسجل السيارة. الوقت ازف واصبحنا على بعد دقائق من المدينة التى شهدت معارك ضارية انسحب على اثرها الصرب. آخر الحدود الكرواتية تحتضنها مدينة سلافونسكى برود التى تفصلها عن بوسانسكى برود كوبرى «برتستسقا يادينتسقا». هذا الكوبرى هو الوحيد الذى يربط الان بين البوسنة وكرواتيا. من مفارقات القدر ان اسمه يعنى «الاخوة والاتحاد» اخوة واتحاد شعوب يوغوسلافيا التى قضى جوزيف بروز تيتو معظم حياته ليحولها الى واقع سرعان ما تلاشى كالدخان بعد وفاته بسنوات قليلة.

نودع كرواتيا بعد منتصف الكوبرى. يهدىء بوهارا من سرعة السيارة ويشير الى آثار قصف جوى لارض الكوبرى فى محاولة صربية لتحطيم آخر معبر بين الجمهوريتين. ابرز المذابح التى عرفتها المدينة قبل التحرير وقعت فى قرية جورنيا كوليبيا وتبعد حوالى ١٠ كيلومترات عن بوسانسكى برود راح ضحيتها ١٦ مسلما منهم ٤ كروات. عندما اندلعت المعارك اثبت المسلمون مهارة قتالية عالية وصلابة حقيقية تخطت نتائجها واقعهم كاقلية نسبتها ١٥٪ فيما يشكل الكروات ٤٣٪. الوجود الاسلامى القتالى واثره فى المعارك يمثل نحو ٥٠٪ من المجهود الحربى. القرى هنا لا تعرف اندماجا حقيقيا. فهذه قرية مسلمة وتلك كرواتية.. وهكذا على طول الطريق. قرية «كراتشا» كرواتية شهدت يوم المعركة الحاسمة واقعة يرويها قائدها الكرواتى الذى يؤكد ان المسلمين تقدموا الى صفوف الكروات الذين تمكنوا بواسطة هذه المساعدة من طرد الصرب.

خطوات قليلة

فى مدخل المدينة هبطنا من السيارة. خطوات قليلة وتطلق المدفعية الصربية قذيفتين سقطتا على مسافة غير بعيدة. اخذنا المرافقون على عجل الى داخل احد المطاعم القليلة التى لا تزال تعمل فى مدينة خارجة لتوها من تحت يد بلجراد. شعور المرافقين بمعنى سقوط قذيفة.. احساسهم بحكايات الموت اليومية التى يرونها رأى العين يجعلهم اكثر استجابة للحدث من الضيف الذى لم تصبح الحرب جزءا معتادا من حياته اليومية. ست ساعات هى عمر الجولة سقطت خلالها عشر قذائف. اكدت المصادر العسكرية البوسنوية لاحقا ان القصف كان مقصودا لذاته، لان الصرب يعمدون الى مهاجمة اى شخص غريب يدخل الجبهة من اجل احكام عملية الحصار والتعتيم الاعلامى وعزل البوسنة عن العالم الخارجى. داخل المطعم الذى يتحول الى ملجأ وقت القصف التقيت ببكر فيرشا يحمل وجهه قسمات العسكرى المنضبط. تماما كما رفيقه بوهارا. قليل الكلام.. هادىء. ابتسامة خجولة.. ادب جم.. يتكلم الانجليزية بطلاقة على غير عادة الشعوب

اليوغوسلافية «سابقا». فى البدء لم اكتشف جيدا ملامحه مع الوقت اعتدت حالة ما بين ضوء الشمس والعتمة. تبادلنا الحديث على غير موعد. اكتشفت قليلا وعلى عجل قصته التى تحمل اكثر من معنى.. بكر من كوسوفو التى كانت تتبع الى وقت قليل «قبل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية» جمهورية صربيا. ابتعثته بلجراد فى دورة تدريبية عسكرية بهولندا. قطع البعثة وانضم الى ابناء البوسنة فى جهاد مشروع. يرجح اشتعال الحرب فى كوسوفو واقليم السنجق بمواجهة الصرب.

الضابط الكوسوفوى كافر بصربيا مؤمن بجهاد البوسنة يتحدث بخجل شديد عما تم انجازه فى الجبهة. انسحب الصرب وخلفوا وراءهم الكثير من الاسلحة الثقيلة. لكنه يشكو مر الشكوى من قلة ما لدى المقاتلين من سلاح ثقيل عموما. فالغنائم لاتفى بحجم الارض المكتسبة يوما بعد يوم فتعجز عن سداد الاحتياجات الميدانية. هذا هو كل مطلبه ! اسأله عن قوة المراس التى يذكرونها عن الميلشيات الصربية «التشتنيك». يفاجئنى بالاجابة «نحن وهم كما الفلسطينى واليهودى. نحن اصحاب قضية وهم بلا قضية. هذه هى الخلاصة. يقفز فوق الاجابة.. يذهلنى قوله «البوسنى والفلسطينى يحاربان باسم الله. انا هنا فى الجبهة البوسنوية وفلسطين فى قلبى. اعتزم القتال ضد «اسرائيل» فور انتهائى من الحرب ضد الصرب».

عودة مرة اخرى الى رفيق الرحلة نائب القائد الذى نشر له ديوانان من الشعر البوسنوى. يشير فى الطريق الى واحد من اكبر مراكز تكرير البترول فى جمهوريات يوغوسلافيا «السابقة» . دمر الصرب ٢٨ مصفاة وبقيت ٤٠ بعيدة عن الدمار. يستعرض بوهارا بعض احدث الانجازات. فقد تم تحرير مدينة تقع على بعد حوالى ٣٥ كيلومترا من بوسانسكى برود رغم قلة العدة والعتاد. قرية سايكوفاتس ذات الاغلبية المسلمة حققت انجازا ابرز ما فيه مشاركة الاقلية الكرواتية وايضا الصربية ضد القوات الصربية. شباب القرية بعد تحريرها تقدم الى الخط الاول من الجبهة ويحكم الحصار فى منطقة حول القوات الصربية. تتواصل الحوارات وتقطعها احيانا احدى القذائف الصربية العشر. ندخل معسكرا حربيا خلفه الصرب وراءهم ونلتقى بالقائد شاوشوفيتش نيان. كأن المعارك حفرت قسمات وجهه الذى يطلق الابتسامة على استحياء. طوال الجلسة لم يقل سوى عبارتين: «حيث يوجد مسلم توجد البوسنة» تأكيدا على حقائق الجغرافيا والتاريخ وقرار الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية المستقلة. مثله مثل بوهارا وفيوشا، يئن بالشكوى من قلة السلاح الثقيل والخفيف ايضا «فى جبهة نوجافوتسا — على سبيل المثال — يوجد ٢٠٠٠ مقاتل و١٠٦ كلاشنكوف فقط». هذه كانت عبارته الثانية، لان الحرب قد تطول لسنوات وليس لاشهر قليلة. يؤمن جميع من التقيت بهم بأن امامهم اختيارين «اما الحياة بكرامة او الشهادة».

نائب رئيس حزب العمل الديمقراطى «الاسلامى» بالمدينة المهندس جواد هوسجيتش يقدر احتياجات البوسنة والهرسك بمواجهة الصرب بما يتراوح بين ٥ر١ و٢ مليار دولار. فى غرفة الاجتماعات بالمعسكر تسود قناعة بين الحضور بأن هناك تقدما بوسنويا يوميا يوميا على حساب الصرب فى ارض المعارك. يتمنون على الله الوصول الى مشارف سراييفو ليفكوا الحصار عنها. قبل انتهاء الجلسة يتقدم مدنى بوسنوى الى احد العسكريين يتحدث اليه همسا، فيوافقه الاخير. لذلك تمتد الجلسة قليلا لنستمع لاغنية بوسنوية يبدو انها من نتائج الاستقلال والجهاد وارواح الشهداء. تقول كلمات الاغنية:

الله اكبر
يقولها قلبى الان وانا حر
يقولها قلبى الان وانا صائم
هذه الكلمات
يقولها مؤمن لربه الذى وهبه الحياة
اقول لا اله الا الله وانا حر
اقول الله اكبر وانا اصوم رمضان
اقول لا اله الا الله وانا احتفل بالعيد
الله اكبر
فانا دائما اناجى الله
ولا اخفى اننى ابن هذا الدين

النشاط اليومى

الجولة ضمت وفدا من هيئة الاعمال الخيرية بالامارات حرص على الزيارة الميدانية للتعرف على الحاجات الاغاثية والانسانية. فمدينة مثل بوسانسكى برود عمدت قيادتها العسكرية الى اعادة سكانها اليها والنشاط اليومى الى ارجائها. اضافة الى ذلك هناك ٢٥ الف مهاجر تستضيفهم المدينة من داخل البوسنة. يذكر لشباب الامارات رغبة حقيقية للانتقال الى الخط الاول للمعارك لم يوافق عليها العسكريون لاعتبارات امنية مفهومة. ملاحظة اخرى تتعلق بحرص بعض اعضاء الوفد على ارتداء الزى الوطنى. اللافت للنظر ان مجرد رؤية «الدشداشة والعقال» لدى البوسنويين يترك اثرا نفسيا ومعنويا لا يدركه الا من انقطع عن الاتصال بالعالم الاسلامى لعشرات السنين ليفاجأ بعد كل ذلك ان الاصول تعود اليه واين.. فى جبهة الحرب؟! تتواصل الجولة خروجا من المدينة بالسيارة مرورا بطريق ريفى ضيق تتناثر على جانبيه القرى المسلمة والكرواتية واحيانا القرى المشتركة بين السكان المحليين من الجانبين. يسهل التعرف على هوية القرى من خلال وجود المسجد او الكنيسة. تتوقف السيارة نتبادل التحية مع المقاتلين ونتجه الى دبابة « تي ـ ٥٥» دمرها البوسنويون بجوار احدى الكنائس. الحريق الذى لف الدبابة قبل انسحاب افرادها الصرب يترك آثاره على هيكلها المتبقى بلون اسود متفحم وبقايا طلقات رشاش فارغة. حطام ورائحة دمار ومعارك طاحنة تلف نسمة ريفية بدأت تستنشق حالة سلام وقليلا من الامان. حيثما نذهب تنتشر قوة حراسة مدججة بالسلاح حتى اسنانها بين الخرائب المتبقية ووسط حشائش برية لم يجد العائدون الوقت الكافى لاقتلاعها. مخاوف يتحسب لها الامن المشرف على جبهة بوسانسكى برود من عملية تسلل صربية واختراق للدفاعات البوسنية.

الدخول الى قلب كنيسة كـاثـوليكيـة مهيضـة الجنـاح مهشمـة الاطـراف يكشف لغـة الحرب وقاموسـها القاسـي. دقائق عدة بداخلها تؤكد تلك الحقيقة اشلاء الاشياء وبقايا التجهيزات ورموز مسيحية محطمة. استدير خارجا. قرب المدخل تشتكي الي ام كرواتية بزيها الاسود الشـائع هنـا. يشير المرافق بأنها فقدت ابنها في الحرب ضد الصرب. اتكلم معها عبر مترجم. شكواهـا من قسـوة الصرب جاءت بدموع لفت عينيها وسنوات عمرها التى تخطت الستين. يخجلني وايـاهـا الصمت ولا شيء غير ذلك. يقول البوسنويون ان صربيا اطلقت اشرارا من السجون المدنية في حالة سعـار بشرى لينضموا الى صفوف جيشها المحارب في البوسنة. تجيء الافعال من جنس الفاعلين. اهـوال تقطيع الرقاب وهتك الاعراض والتنكيل حظى المسلمون بالنصيب الاوفـر منهـا لاسبـاب دينيـة تاريخية يحفظها الصرب عن ظهر قلب.من الكنيسة الى المسجد اتجه. مئذنة حزينة منكسرة مبتورة الهامة بفعل قصف صربى اطاح بقمتهـا، ليعـود علم بـوسنـوى يشـد من ازرهـا بعـد أن رفعـه المجاهدون اعلاها. محصلة الخسائر الصربية في بوسانسكي برود والقـرى المحـررة، اسقـاط ٧ طائرات ما بين «ميج ٢١» و«ميج ٢٩» وتدمير ٤٦ دبابة واسر ٥٤ دبابة بحالة سليمة. تقع المدينة على مسـافة ٢٣٠ كيلومترا من سراييفو، وتمتد جبهتها بعمق ٢٨ كيلومترا توجـد بعـدهـا القـوات الصربية. يتمنى القادة الميدانيون نيل شرف فك حصار العاصمة البوسنوية. يؤكدون مرة اخـرى الحاجة الشديدة للسـلاح. بمختلف انـواعـه لتحقيق هـذا الهدف الـذى يـرونـه «سـهل التحقيق بمواجهة جيش يفتقد الايمان على حد قول قائد بوسنوى. يؤكدون كذلك على دور العالم الاسلامى في هذا المجال.

معركة عنيفة يذكرها الجميع تلك وقعت في قرية دوزنى كـوليـد. قتـال استمـر عشرة ايـام من شارع الى شارع، ومن بيت الى بيت ومن حقل الى حقل اسفر عن اقتلاع جذور القـوات الصربيـة.. يروى احد المقاتلين بعضا من ذكريات القتال الضارى الذى شهده الطريق السريع عند اول المدينة من ناحية الحدود الكرواتية. عشرة امتار فقط كـانت تفصل بين المتحـاربين. حـدث ذلك في شهـر ابريل لتبدأ انهيارات الدفاعات الصربية. عند العودة اشهد حريقا داخل احد البيوت. ينـدفع اللهب والسنته وسط طبيعة يكسوها اللون الاخضر. مشهد يحمل الكثير من التناقضات. حرب وسـلام. سيادة دولة ومطالب لدولة اجنبية. نزاع تاريخى بين البوسنة وصربيا.

حـالـة استغاثـة

القرويون المحاصرون بالنسيان يهرعون الى الطريق. يخرجون من البيوت بمجـرد وصـول أى اجنبى. حالة استغاثة مرسومة على الوجوه. يكفى ان يعرفـوا في القـرى المسلمـة ان الـزائر مسلم لتنسـاب بعفوية مؤثرة التعبيرات الاسلامية مثل السلام عليكم و«الله امانت» وهو تعبير بوسنوى شائع عند الوداع يعنى «في امان الله». المساجد هنا منتشرة تتواجد بعناد ملحوظ لقانون التعصب والجاهلية. تتناثر كزهور في حديقة بوسنوية. يتنامى عددها ويتزايد بمواجهة عملية خنق منظمـة في صربيا للمسلمين ومساجدهم في بلجراد وحدها تراجع عدد المساجـد من ١٨٠ مسجـدا خلفهـا

العثمانيون وراءهم الى مسجد وحد فقط. الاجتياح الصربى لقرى المسلمين ومدنهم يعنى ارتكاب فظائع حقيقية داخل المساجد وامام الناس امعانا فى التنفيس عن احقاد قديمة متجددة. الاهانة المنظمة لحرمة المسجد والتخريب العاقل المدرك لابعاد الفعل يشهد على ذلك. اختيار المسجد مكانا لارتكاب جرائم وايام عيد الفطر لشن الحرب على البوسنة لم يمرا على المحللين دون فهم الرسالة الكامنة فى قلب العدوان الصربى.

قبل مغادرة المدينة وبدء رحلة العودة مرة اخرى على مدى اربع ساعات ونصف الساعة، تستضيفنا اسرة بوسنوية. خليط ما بين روح الاسلام وعاطفة جياشة وحالات جهل صارخة بالدين. حين يسأل عن ذلك ضيف مسلم تجىء الاجابة سريعة «نسيتمونا نحو سبعين عاما. تركتمونا جزيرة معزولة فى وسط اوروبى معاكس بكل ما لديه من نظم وقيم». لكن بشائر التحول واستعادة الذات تنبعث من جديد حتى وسط اتون الحرب. راسم زاهروفيتش امام المدينة، التى تضم حوالى ٢٠٠٠ مسلم، يتحدث العربية الفصحى وتخرج من قسم الصحافة بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر. يحين وقت الصلاة يقودنا الى مسجد صغير يحتل الطابق الثانى لاحد الاسواق. يتقدم ابنه البالغ من العمر ست سنوات. يؤذن للصلاة ثم يقيمها. يؤمنا الاب. بعد الصلاة استكشف فى وجهه ملامح الفخر بصغيره، اشعر انه يقدمه هدية والتفاتة الى الضمير العربى الزائر لجبهة الحرب. يؤكد بذلك السلوك البسيط العابر ان البوسنويين شعب له جهاداته عبر تاريخ يزيد عن خمسمائة عام.

يحل الظلام وتبدو بعض الاضواء الخافتة التى تحجبها ستائر النوافذ والاصباغ الداكنة. المرور فى شوارع بوسانسكى برود ليلا يحمل مشاعر الترقب والاصرار ورغبة حقيقية فى جهاد ماض ضد صربيا حتى تقبل سيادة الدولة العائدة الى احضان تاريخها. لاتزال فى الذاكرة قذيفة اطلقتها المدفعية الصربية موجهة الينا قبل ان تغادر الشمس سماء المدينة لتنبه الجميع الى ان البوسنة ارض حرام على الغرباء. كانت القذيفة العاشرة والاخيرة واسفرت مثل غيرها عن خسائر مادية وسحب من الدخان الكثيف. تمضى عجلة الحياة والجهاد وعمليات الاختراق اليومى التى يقوم بها (الكوماندوز) البوسنويون خلف الخطوط الصربية. ونمضى نحن عائدين الى زغرب حيث الواقع السياسى البوسنوى مخيم على كل شىء فى كرواتيا. فى الطريق اتحسس بعض مقتنيات الرحلة التى حملتها معى. طلقات فارغة. بطاقة عمالية تابعة للحزب الشيوعى اليوغوسلافى ملقاة باهمال على ارض الجبهة فى اشارة بالغة لرحلة جديدة من تاريخ البوسنة والهرسك التى ادارت ظهرها اخيرا لنظام حاصر بشكل متعسف هويتها وتاريخها. ايضا اقلب سترة ميدانية لمقاتل صربى لا يعلم احد ان كان عاد سالما ام قتل فى الجبهة. تختلط ببقايا من تراب وبلل اصابها من ارض المخبأ الذى اواه زمنا قبل أن يأتى ضيف مثلى ليحتفظ بها. رحلة العودة كانت فرصة طيبة لاسترجع وجوها بوسنوية تشارك فى المعارك كل على طريقته.

زهدى عادلوفيتش. طالب فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. يستهل كلامه مع العرب عادة بأنه من اصل مصرى جاء اجداده منذ اكثر من ٣٠٠ سنة من مدينة طنطا ليحاربوا مع الجيش العثمانى فى اوروبا ثم استقروا فى بلغاريا ومنها نزحوا الى البوسنة. لم تنسه الحرب ولم تفقده

المأساة بعد الطرائف القاهرية، حيث امضى عاما فى العاصمة المصرية يتعلم العربية فى جامعة الازهر. عثر هو وزملاؤه على شقة فى الزمالك. لكن ذلك لم يمنعه من الاتجاه الى الاحياء الشعبية المجاورة مثل الكيت كات وامبابة لشراء الطعام باسعار رخيصة. يروى لى ضاحكا التعليق الذى اعتاد الباعة ترديده له عندما يعلمون بحكاية السكن والطعام.. «يعنى تسكنوا فى الغالى وتأكلوا بالرخيص». دقائق قليلة يخرج بها من اجواء الحرب، يستعيد الواقع سريعا ويقول بعربية فصحى يتقنها ربما بافضل من راسم زاهر وفيتش «ليس امامنا خيار سوى الجهاد. الحلول السلمية ستحقق للصرب اطماعهم فى بلادنا».

مثقفون وآخرون

يندر رؤية شاب بوسنوى خارج الجبهة. وجوده فى كرواتيا لغير مهمة، مدعاة للخجل لانه يستوى فى ذلك مع الاطفال والنساء والكهول. شباب كثيرون مهاجرون فى اوروبا عادوا للوطن عند اندلاع المعارك. عمال.. مثقفون وآخرون احد العمال البسطاء احضر معه حوالى ٤٠ الف مارك كل حصيلة الغربة والعمل فى المانيا ووضعها تحت تصرف قيادة بلاده. نموذج من نماذج اخرى كثيرة. مصطفى بشيروفيتش يتولى مهمة نقل السلاح الى الداخل. سيارة محملة بالقذائف والذخائر باشكالها وقطع السلاح باحجامها المتنوعة بسيارة محملة بالموت عبر طريق يمر باحتمالات الموت فى اى لحظة!! عن كوسوفو التي تضم ٢,٢ نسمة من بينهم ٩٥٪ مسلمون يقول: «الف قناص صربى فى العاصمة بريشتينا وحدها. الاسلام مطلوب رأسه على المذبح الصربى، هكذا يقول بتأثر شديد.

يواصل مصطفى متحدثا بتأثر باد عن مردود زيارة الوفود الشعبية العربية: «ترفع معنويات الجميع. نشعر اننا لنسا وحدنا». يؤكد كالاف غيره «نحن بحاجة للسلاح».. يقدم لنا اسرته المكونة من الزوجة وابناء. يتقدم الطفل الصغير منا على استحياء. يكلمه ابوه بلغته البوسنوية، فيردد الصغير «السلام عليكم» زهدى ماكيتش التقيته فى سبليت المدينة الساحلية الكرواتية يحمل معه عبق الجبهة المعطر. قادم لتوه من جبهة مدينتى ترافيك وبايتشا. مكث ومجاهدون ثلاثة داخل احد الخنادق ستة ايام كاملة تحت المطر. تموينهم اليومى رغيف خبز واحد. جاء الى «مرحمت» الهلال الاحمر البوسنوى ليحصل على برميل نفط وبعض الغذاء.. نقص فى السلاح والنفط والغذاء، غير ان هذه الروح يصعب ان ينال منها اهمال الاشقاء والاصدقاء لهم.

محمد بن عمر شاب آخر عاد من المانيا. يرتدى الزى البوسنوى الشعبى. اتى ليقاتل وينتظم فى احدى الكتائب وتحقيق حلمه دفاعا عن الدين الذى يراد اجتثاثه من فوق الارض البوسنية بشهادة صمت دولية تزينها بعض القرارات وصيحات الاستنكار. الوضع العسكرى يشير الى تفوق اعداد المقاتلين على السلاح المتوافر. يحدث احيانا ان تأتى مجموعة من الشباب الى مراكز الاتصال البوسنوية فى كرواتيا للحصول على السلاح والانخراط فى صفوف المقاتلين، فيتم الاعتذار لهم نظرا لندرة السلاح. قيادات بوسنوية عديدة تبدى غضبها لهذا الحال. لكن الاكثر ايلاما هو التخبط السائد فى الجبهة نظرا لافتقاد عنصر التنسيق اللازم ونظرة الدفاع الضيقة عن كل وحدة على حدة دون التحول الى الدفاع الشامل الذى يأخذ بعين الاعتبار مجمل العوامل الجغرافية والبشرية.

يشير المراقبون الى تقطع اوصال القوات البوسنوية التى تم تشكيلها على نحو عفوى تحت دوى القنابل الصربية. تفتقر هذه القوات الى رؤية محترفة شاملة تلفها جميعا فى نسق واحد يتمتع بخطط استراتيجية وخطوط تموين منتظمة. ادى تقوقع كل وحدة مقاومة على نفسها الى سهولة سريان الصرب فى اوصال الجسد البوسنوى وحصار العديد من المدن مثل العاصمة سراييفو وتوزلا وروجاتيكا. كما مكن هذا الوضع فضلا عن توافر احتياطي ضخم من الذخائر ومصانع منتجة داخل صربيا الى انفراد الصرب ـ غالبا ـ بعنصر المبادرة عبر القصف المنظم مثلما يحدث مع مدن كونجيك ومدستار وفوتشا وجورازدي وموديريكا وبوسانسكي ساماك وبوسانسكي برود. اما قائمة المدن المحتلة فتضم فيما تضم سانسكي موست وفيسجراد وسربرينكا وفلاسنيكا وبراتوناك وزفورنيك. الاحصائيات الرسمية ● تدل ان المسلمين يشكلون نسبة ٨ر٤٣٪ والصرب ٥ر٣١٪ والكروات ٣ر١٧٪. بعض التقديرات ترتفع بنسبة المسلمين الى ما يزيد عن ٥٠٪. حرص الرئيس علي عزت بيجوفيتش على علمانية الدولة كضريبة لازمة الى اوروبا والولايات المتحدة من اجل الحصول على الاعتراف الذى اعتمده المجتمع الدولى لاحقا وتم قبول البوسنة مع كرواتيا وسلوفينيا اعضاء فى منظمة الامم المتحدة فى مايو الماضى. النزيف الدائر على اراضى البوسنة والهرسك يستهلك ٦٠ مليون دولار هى قيمة الخسائر اليومية، ويقدر الاجمالى فى آخر احصائية بوسنوية منشورة بثمانية مليارات دولار. **رادوفان كاراجيتش** زعيم الحزب الديمقراطى الصربى فى البوسنة هو الوجه القبيح فى الجمهورية المستقلة. حصان طروادة الذى يتخفى خلفه الرئيس الصربى سلوبودان ميلوسيفيتش. الاخير ينفض يده فى مسرحية هزلية من الاحداث زاعما ان بلجراد لا تتحكم فى تحرك الصرب البوسنويين. تماما مثلما فعلت عندما سحبت قواتها تاركة العسكريين الصرب البوسنويين يعيثون فى البوسنة فسادا باعتبار انهم من ابناء الجمهورية. رادوفان ـ وفقا لمصادر فى زغرب ـ تلقى تدريباته على يد «الموساد» الاسرائيلى. يتولى قيادة الميليشيات الصربية «التشتنيك». هذه التسمية اصبحت لافتة عامة تضم تحتها كل المتطرفين الصرب. تنقسم قوات العدوان الى فلول الجيش الاتحادى «الصربى» وقوات الحزب المسماة بالصقور البيضاء. مذابح اليوم خاصة فى المدن الوقعة على ضفاف نهر «درينا»، امتداد لمذابح الاربعينات التى مثل فيها بالمسلمين وراح ضحيتها عشرات الالاف. فى احد معسكرات اللاجئين بمدينة سبليت يتقدم منى مسن بوسنوى ويطلعنى على صورة فوتوغرافية لضحايا الاربعينات. امرأتان احداهما مذبوحة من الرقبة والاخرى اقتطعت اجزاء من جسمها.

* رادوفان كاراجيتش

زاوية طائفية

اليوم يعلو صوت رادوفان وكانه زعيم يتكلم باسم الجمهورية من زاوية طائفية محدثا شبه ازدواجية فى القيادة مع رئيس الجمهورية المنتخب. هل هذا الموقف غير القانونى له اصداء

● احصائيات العهد السابق

اوروبية؟ الواقع نعم. فقد تمت دعوة بيحوفيتش الى اجتماع لشبونة قبل احكام الحصار حول سراييفو من قبل المجموعة الاوروبية. نصت الدعوة انذاك على أن بيجوفيتش يحضر الاجتماع بوصفه رئيسا لمسلمي البوسنة. لا شك ان ذلك يحمل فى باطنه تشكيكا او تحجيما لمنصب الرئيس وافساح المجال للقائد الصربي. كذلك صدر تصريح عن مصدر اوروبى وقت اجتماعات لشبونة بعد بزوغ نجم الاجتياح الصربى نص على ان المفاوضات المقبلة «ستتم على اسس جديدة» استنادا الى سياسة الامر الواقع. ماساوية الموقف تكشفه تحركات كرواتية فى بعض مناطق جبهة الحرب. احدى المدن القريبة من سراييفو تتمتع باغلبية كرواتية ضئيلة على حساب المسلمين. وسط ضجيج المعارك تم اتخاذ عدة قرارات تثير الاستياء. سحب الاعتراف من القوات المسلمة النظامية التى تحارب كتفا الى كتف مع الكروات، وتم فرض نوع من الهيمنة الكرواتية على ارض واقع المدينة. كل هذه التحركات صربية كانت ام كرواتية ستقفز الى الحل الدبلوماسى عبر مائدة المفاوضات مستقبلا على طريقة افتراش الناقة «الاسرائيلية» فوق الاراضى العربية. مدينة موستر نموذج أخر. اغلبية مسلمة ضئيلة يليها الكروات فى العدد. حكومة زغرب تمد الاقلية الكرواتية بالسلاح والعتاد. مجهزة بطريقة جيدة دفعتها لاحكام السيطرة على مقاليد الامور داخل المدينة ليتحول المسلمون الى تابعين لها.

المحاولات التى تمت لاحقاً اسفرت عن تأسيس لواء بوسنوى يتولى مهمة الدفاع عن مجمل اراضى البوسنة. يتمتع بحرية الحركة وفقا لمقتضيات المعركة. يجري العمل لتشكيل لواءين اخرين●. القيادة الكرواتية متمثلة فى الرئيس فرانيو توجمان تفتح كل الابواب ولا تغلقها. تتعاون مع المسلمين وتوفر لهم المأوى فوق اراضيها فى موقف يستحق الاشادة. فى الوقت نفسه تتباين القرارات على ارض المعركة ما بين تنسيق وبين محاولة وضع اليد على اكبر مساحة ممكنة تحسباً ليوم المفاوضات. اتفاق «جراتس» الذى تم خلاله اعلان نوع من التعاون بين الصرب والكروات البوسنويين تم بضوء اخضر من توجمان●●. هذا الاتفاق اسقط فيما بعد بفعل المعارضة الشعبية التى اكتوت بنار الحقد الصربى وشهدت على عمق التسامح الذى كرسته البوسنة عبر تاريخها.

توجمان الرئيس الكرواتى يعانى من اقتصاد منهك ونحو مليون مهاجر كرواتي وبوسنوى. لكن الاكثر صعوبة هو معاناته السياسية. اغلبية ظاهرة فى الشارع تراه زعيما شيوعيا من بقايا نظام تيتو، تجاوزته المرحلة الحالية. اكثر من حوار مع رجل الشارع فى زغرب يؤكد هذه الرؤية. فى الوقت ذاته يتفق الجميع على تأجيل المواجهة مع توجمان الى حين انتهاء الحرب مع صربيا التى تحتل ثلث اراضى كرواتيا. زيارة مجاملة سريعة قمت بها الى فيسنا شكارة المتحدثة الرسمية فى رئاسة الجمهورية «بفيلا زغريا» تكشف ان شيئا من التغيير طرأ على الرئيس ولو على مستوى المظهر. لايزال التمثال النصفى للزعيم اليوغوسلافى الكرواتى تيتو موجودا فى الطابق الاول. ربما وفاء لذكرى الرجل الذى اعتاد النزول فى هذا القصر عند زيارة زغرب. حشائش الحدائق الشاسعة

● تصريح من الشيخ شوقى عمر باشا رئيس لجنة الطوارىء لمساعدة البوسنة والهرسك

●● هكذا ترى انطونيا كوكوت رئيسة الحزب الليبرالى المعارض فى مدينة فراجدين بكرواتيا

المحيطة بالقصر ما زالت تنمو بغير انتظام منذ ان رأيتها فى المرة السابقة● . يبدو ان الرئيس وادارة القصر ادركوا تلك الهفوة فانتشرت مجموعة من الرجال والنساء لتشذيب الحدائق ولتعيد الى خارج القصر رونقه الاخضر المنتظم.

احدث النكات ضد الرئيس اطلقها طالب جامعى معارض لسياسات توجمان حينما تهكم بقوله ان زغرب باتت مهددة مرة اخرى بالطائرات المعادية. يستنكر المستمع لان بلجراد لم تفعلها منذ مهاجمتها المقر الرئاسى الاصلى فى قلب العاصمة. يعود الطالب معلقا بسخرية «هذه المرة ستكون طائرة الرئيس». فقد تم شراء طائرة خاصة بالرئاسة مؤخرا. التصرف عادى فى كل بلاد العالم الا كرواتيا التى يرى شعبها ان التضخم والبطالة لا يسمحان بمثل هذا «الترف». موظفة باحدى شركات الطيران تدين النظام بطريقة غير مباشرة تقول: «يهربون كل يوم للامام كل المشاكل وحلولها مؤجلة باسم الحرب» نخاف من مرحلة ما بعد الحرب. ترى ان بلدها يساهم فى استمرار الحرب. تقول «كل حرب لا تشتعل الا بطرفين». هذه حقيقة لكن ينقصها الاجابة عن سؤال «من المعتدى؟!»

مؤسسة الرئاسة

الازمة فى البوسنة تحمل طابعا اخر. حملة شديدة يشنها البعض على عدم التحسب لاندلاع الحرب. يفترض هذا البعض ان الرهان على السلام والحل الدبلوماسى لا يعنى ابدا اغفال الجانب العسكرى. مؤسسة الرئاسة تعتبران التركيبة القومية الطائفية المعقدة حالت دون عسكرة الجمهورية على المستوى الرسمى لان هذه الخطوة فى حينها لم تكن لتفسح المجال امام الخيار الدبلوماسى، فضلا عن تعجيلها بالصدام المسلح. الملاحظ ان هناك اجماعا شعبيا على شخص علي عزت بيجوفيتش بتاريخ حافل وثمانية اعوام فى سجون الحكم الشيوعى اثناء وبعد رئاسة تيتو. المرة الاولى بين عامى ٤٦ / ١٩٤٩، والثانية بين عامى ٨٣ و١٩٨٩. الرئيس الوحيد الذى عارض خصومه وهم فى السلطة وتأدب معهم بعد رحيلهم. يذكر البوسنويون ان رئيس صربيا وكرواتيا كانا من عمد الحكم السابق وسرعان ما هاجماه بعد رحيله. احد العاملين بفنادق زغرب يدافع عن الرئيس توجمان ـ فى هذا المجال بقوله «هل تلام الزوجة على اتباع زوجها؟!».

التيار السياسى البوسنوى تتنازعه ثلاثة اتجاهات. اتجاه يطالب بضرورة الرهان الكامل على العالم الاسلامى. الثانى يدعو الى استبعاد ذلك الخيار فى الوقت الراهن تحسبا للعامل الامريكى ـ الاوروبى الذى يضع علامة استفهام وربما استنكار امام التواصل مع العالم الاسلامى. الاتجاه الثالث يشير الى ادراك الغرب لحقيقة مشاعر الشارع البوسنوى. وان استبعاد العالم الاسلامى تحت تأثير معنوى غربى غير منظور هو هدف يتحقق لصالح هذا الغرب. يؤكد ذلك الاتجاه ان لامجال للمناورة والابتعاد عن الحاضنة التاريخية الاسلامية، وان الغرب لن يرضى فى كل الاحوال الا بكسر اضلاع الحلم البوسنوى الاسلامى. الفريقان الاول والثالث يكادان يتطابقان الا فى بعض التفاصيل. صحفى المانى متابع للحرب وزار العاصمة يقول ان الدمار الذى لحق بسراييفو يفوق ما شهدته برلين فى نهاية الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء. مصادر بوسنوية تعزو القصف

● فى يناير ١٩٩٢

المركز للجيش الصربى الى محاولة تركيع القيادة البوسنوية والتوقيع على قرار الاستسلام فتنهار المقاومة فى كل انحاء الجمهورية. تدرك بلجراد ومعها رادوفان كاراجيتش ان سراييفو بمثابة المخ من الجسم البوسنوى المسلم. لذلك يصرون على التحدى الرامى الى اسقاط الجسم عبر المخ الذى يقاتل دفاعا عن وسط ظروف غاية فى الصعوبة.

المطلوب ـ فى حال عدم الاستسلام ـ تحقيق حالة اللاحرب واللاسلم مع هيمنة صربية لغالبية اراضى البوسنة. هذا السيناريو يعد مكسبا حقيقيا لبلجراد التى تراهن على عنصر الزمن. رغم قرار الحظر الدولى، فصربيا تدرك تماما انها ليست العراق وان البوسنة ليست الكويت. لذلك تواصل وتستمر استنادا لخطة الامم المتحدة والتعامل مع الفرقاء تعامل الانداد المتساوين مما يسقط اهم الاوراق من ايدى الرئاسة الشرعية البوسنوية. قراءة سريعة لبعض التصريحات الغربية تظهر نغمة تقوم على «نزع سلاح الجميع» و«ادانة جميع الساسة» و«استنكار دور القادة فى تصعيد الحرب» ووضع الجميع بالتالى فى سلة واحدة. الحرب التى قد تطول لسنوات وسنوات لا يحسمها وفقا لاحد المصادر، سوى الانجاز على الارض فى ظل ضعف احتمالات تدخل غربى عسكرى وفتور اوروبى ـ امريكى بهذا الصدد. هذا الفتور «يؤثر السلامة فى تأن تنضج معه الوليمة عوضا عن ندامة فى سرعة قد تنصف الجانب البوسنوى ومشروعه الاسلامى المحتمل رغم شعار علمانية الدولة «الرئيس بوش خرج مؤخرا بتصريح مفاده ان القوات الامريكية «لن تتحول الى شرطة العالم». مؤكدا ان هذه الكلمات الحاسمة قد وصلت الى اذان المسئولين البوسنويين رغم الرحلات المتواصلة التى قام بها فى الخارج وزير الخارجية حارس سيلايجيتش داعيا خلالها الى ضرورة التدخل العسكرى الامريكى لوضع حد للعدوان الصربى.

الداخل البوسنوى يشهد وقفة شريفة من جزء لا يستهان به من الشارع الصربى الى جانب الشرعية. بعض الصرب خرجوا بالفعل ضمن مظاهرات فى سراييفو معادية للعدوان الصربى. فى نفس الوقت يؤكد الرئيس بيجوفيتش انه «ضد التقسيم القومى الذى لا يمكن ان يكون حلاً ناجحاً ودائماً لمشكلة البوسنة». وفى هجوم مضاد من جانبه ضد سياسة الامر الواقع التى بدأ يستشرف ملامحها فى تصريحات اوروبية قال ان «تغييرات كبيرة حدثت فى الشهرين الماضيين فى البوسنة، وعلى المجموعة الاوروبية ان تأخذها فى الاعتبار خلال اى محادثات قائمة بين الاطراف المعنية». ازمة البوسنة تؤكد من جديد ان مائدة المفاوضات تعكس ترجمة امينة وصادقة لقدرات كل فريق. والشرعية البوسنوية تدرك ان طرد «التشتنيك» وقوات بلجراد هدف اساسى، ان لم يتحقق قبل ان تفرض الامم المتحدة وضع اللا غالب واللا مغلوب فإن اشياء كثيرة ستذهب مع رياح التاريخ من بينها مشروع الدولة البوسنوية ذاتها بحيث لا يبقى منه سوى الاسم.



يصعب تصور قارة اوروبا بدون جمهورية البوسنة والهرسك في ظل التطورات السياسية والعسكرية الاخيرة وصدور قرار الاعتراف الصادر عن الامم المتحدة، لكن يظل السؤال الاهم هو: اى جمهورية ستبقى وتخرج من هذا المخاض؟! الوقائع تشير الى معالجة غربية واعية تهدف الى اخراج الدولة الناشئة الى حيز الواقع الدولى مفرغة من مضمونها التاريخي. اتساقا مع ذلك تصب حالة الارتباك والعدوان السائدة فى اتجاه المعالجة التى تستهدف تليين عناصر الازمة خاصة فى جانبها البوسنوى.

هذه الرؤية تتماشى تماما مع منطق طبيعة الاشياء. فالاقوى والغالب يفرض دائما معادلته. والحكمة السائدة فى المدرسة الدبلوماسية الغربية تتلخص فى ترك الصغار يمارسون لعبتهم بكل تجاوزاتها بما يشكل سيناريو ملائما ويفرز عناصر صالحة لتشكيل واقع المسرح وتهيئته وفقا لشروط هذه المدرسة.. فترة اللعب التى قد تطول او تقصر يحكمها شرط عدم تجاوز الخط الاحمر او خط المصالح الكبرى التى لا تعنى بالضرورة بكم الدماء المسالة قدر عنايتها بكم ونوع هذه المصالح. والمتابع لما يحدث على ساحة البوسنة والهرسك يدرك ـ وفقا للمتاح من معلومات ـ ان الطرح الغربي يصطدم بالقيادة المحلية ولو على المستوى النظري. هذه القيادة تحمل فى جعبتها طرحا اسلاميا مشروعا قادرا على استيعاب خصوصية التركيبة الطائفية باحجامها الكبيرة. والعقبة الرئيسية الاكثر بروزا فى وجه المشروع بعيدا عن عداوة تاريخية مزمنة تتمثل فى الجغرافيا او التواجد فى قلب اوروبا. العقبة الثانية هى امكانية النجاح التى تبدو فى الافق. ويرى الكثيرون ان قدرة المنهج الاسلامى على الحكم ثابتة تاريخيا، ليس فقط فى ظل اغلبية مسلمة، وانما فى ظل اقلية مسلمة مثلما حدث فى الهند. ذلك ان المشروع الاسلامي يتداخل فيه بعدان لا ينفصلان. فهو من جهة عمل روحي له جوانبه الشعائرية، ومن ناحية اخرى يمثل نظاما سياسيا يحق له ان يحكم دون ان يلزم غير المسلمين بشعائر التعبدية. العقبة الثالثة مرجعها الى اتساع حيز تطبيق الاسلام في اكثر من موقع في عالم اليوم وخروج اتباعه من حالة الدفاع التى حشروا فيها عبر عمل شاق وطويل من الطرف الآخر اثمر نتائج ونجاحات ضخمة خلال القرن العشرين.

تأتى وجاهة سؤال «ماذا بعد سراييفو؟!» لتعيننا على محاولة استشراف ملامح المرحلة الغامضة القادمة بعد انتهاء الحصار والمعارك المفروضة على العاصمة ومن ثم مختلف انحاء البوسنة والهرسك. لقد وقع الكثيرون من الاسلاميين فى محظور التحليل الاحادي الصارم الذى يرى كل جزئيات الواقع ذات صبغة اسلامية، وان بينه وبين الخطوة الاخيرة مسافة سنتيمتر واحد يتشبث بها اعداء الاسلام. التجربة القريبة العهد مع المسلمين الواقعين تحت نفوذ الحكومات الشيوعية تثبت حالة الضباب الكثيف التى حجبت الرؤية الصحيحة. معاداة

الشيوعية التى تحارب الاديان ثم بوتيرة عالية اصبحت معها المعاداة اقوى من الموالاة. كان البحث حثيثا عن مهمة مهاجمة الشيوعية، فبدا وكأنه مستهدف لذاته لتختفى فى ثناياه محاولة فهم واقع المسلمين والاستماتة فى حمايتهم. اضافة الى ذلك ظهر ذلك الجهد كتيار يصب لصالح احدى القوتين وقت اشتعال الحرب الباردة وحتى انهيار المعسكر الشيوعى، رغم ان الاسلاميين لم يعمدوا الى ذلك فى وقت من الاوقات. دأب الاسلاميون على تصوير الموقف بعاطفة جياشة حتى تصور البعض ان ما يفصل بين مسلمى الاتحاد السوفييتى ودولة امير المؤمنين عمر بن الخطاب هو ازاحة الحكم الشيوعي. كان ذلك ابعد ما يكون عن الواقع السياسي المعاش فعلا. لم يكن القهر الذى جاوز كل حد كافيا ليتحقق ذلك الامل المنشود. لم ينتبه احد ـ بشكل موسع ـ الى دراسة الواقع بطريقة موضوعية لمعرفة امكانية العودة الى المشروع الاسلامى كاملا متكاملا

مرحلة ما بعد سقوط الشيوعية شهدت حالة استرخاء نفسي وسط صفوف الاسلاميين وهم يشاهدون نظما علمانية بديلة ترفع شارات بل واعلام دول اجنبية. يحدث ذلك فى البانيا ذات الاغلبية المسلمة الساحقة. التساؤل المحير الذى يثير حفيظة المراقبين وهم يتابعون رد الفعل على هذه التحولات الكبيرة ملخصه. «اذا كان الهجوم تم بالامس من اجل المشروع الاسلامى فلماذا توقف ـ اذن ـ هذا الهجوم رغم ان معاداة المشروع لاتزال قائمة وان اختلفت الاساليب؟! ان الملاحظة الثانية التى لا تقل اهمية تمثل فى الركون الى العموميات دون محاولة دراسة تضاريس هذه المجتمعات على نحو يسمح بفهم المشكلة ودراسة طرق المواجهة واحتمالات المستقبل حماية للمسلمين وهويتهم.

الملاحظة السابقة نجد لها سندا فى الازمة السياسية التي عصفت بأفغانستان بعد التحرير مباشرة. اذ لم يعد من المقبول تجاوز الحقائق السائدة وصولا الى شعارات مأمولة. فالفارق كبير وشاسع بين الامر الواقع وواقع الامر. الامر الواقع فى افغانستان وفى ظل ما رأيناه من احداث يشهد خريطة قومية مؤثرة يستند اليها اكثر من رمز على الساحة من اجل تعطيل الطرح الاسلامي الاصيل الذى بذلت فى سبيله ارواح مئات الالوف من الافغان. نعم هناك جهاد الافغان. لكن الدراسة الامينة الواعية، لابد وان تشير الى ظروف المجتمع ومعوقات تحقيق الهدف النهائى الذى تم باسمه خوض احد اشرف الحروب التى عرفتها الانسانية. اطلقت صفة «المجاهدين» على الكل وعلى الجميع بدون حساب. مرة اخرى كان تجاوز الحقائق السائدة وصولا الى شعارات مأمولة احد اخطاء الرؤية التى لا تحفل الا بما تحب ان ترى.

نحن هذه المرة امام سراييفو التى تفرض علينا تفهم الواقع البوسنوي بما يحول دون ان تعقد المفاجأة السنتنا مثلما حدث ويحدث فى دول اخرى. هنا توجد قيادة واعية بمواجهة رفض غربي حاسم لمشروعها، وبينهما

اغلبية مسلمة ذات عاطفة جياشة وامية دينية مرعبة. الى اى مدى يتمكن وعي القيادة وعاطفية الاغلبية من تحقيق مشروع دولة المسلمين ذات الاقليات الضخمة، فى ظل فيتو يحمل اصحابه اوراق الحل والضغط؟! ولا يغيب عن الذهن ان طلب القيادة البوسنوية لتدخل عسكرى امريكى يردع الصرب، له ثمن ومقابل يحصل عليه القادر على تغيير المعادلة بالفعل وليس بالكلام فقط. معادلة صعبة ومعقدة تحتاج الى حنكة رجل مثل الرئيس على عزت بيجوفيتش الذى يحارب على اكثر من جبهة فى وقت واحد. علينا الا ننتظر منه اكثر مما يحتمل. فاغلب الدول الاسلامية باستثناء قلة منها انتظرت الضوء الاخضر الغربي اولا قبل ان تقدم على اي اجراء ضد صربيا. ما بعد سراييفو ـ اذن ـ مرحلة صارمة فى اهدافها وواقعها. صرامة العدوان الصربي الذى يفسح له المجال ضمن حسابات دولية دقيقة. فعدوان بلجراد رغم ضجيج القصف، عمل منظم مطلوب لذاته كي يتم تهشيم عظام الدولة الوليد دون سحقها، من اجل اعادة تشكيل الهيكل البديل لجمهورية البوسنة والهرسك.

ان الغرب لا يقبل بحال من الاحوال ظهور دولة اسلامية في قلب أوروبا. لذلك يسعى الى فرض معادلته القائمة على علمانية الدولة بضمانات لاتحتمل اللبس او تقسيمها نهائيا. وربما احتاج الامر الى تثبيت حالة اللاسلم واللا حرب لفترة قد تطول او تقصر ريثما يمكن التعامل مع الطرح الاسلامي المتنامي. في البوسنة والهرسك يتم ذلك كله رغم مشروع اعلان مبادىء الترتيبات الدستورية الذي ينص على علمانية الدولة، لكن ذلك — على ما يبدو — غير كافٍ.

الملاحــق

(اعلان المبادىء ●)

تضم البوسنة والهرسك تركيبة عرقية ودينية شديدة التشابك من بينها اغلبية ضئيلة للمسلمين باجمالي نسبته ٤٤٪ وفقا للاحصاءات المعلنة. قيادة البوسنة والمسلمين ممثلة في الرئيس علي عزت بيجوفيتش مارست قدرا هائلا من ضبط النفس والتعامل مع الواقع المعاش دون القفز فوقه من اجل الحفاظ على وحدة اراضي الجمهورية الثابتة تاريخيا منذ امد طويل. الخلاف الرئيسي بين المسلمين والصرب يتمثل في استماتة الطرف الاول على هذه الوحدة لانها خياره الوحيد ومجاله الحيوي الذي لابديل عنه. الطرف الثاني يمارس ديبلوماسية الخيارات المتعددة لان لديه جمهورية الصرب قائمة خارج الحدود لذلك يعتبر الانفصال خيارا قائما لدى القيادة الصربية في البوسنة والهرسك. الاحتكام الى العقل، والواقع، والسلام، ونبذ السلاح والعنف احد ابرز ملامح فكر بيجوفيتش الزعامة التاريخية للمسلمين ورئيس الجمهورية. وهو الامر الشائع في حزب العمل الديمقراطي «حزب المسلمين». وقد توصلت قيادات الجمهوريات الثلاث الى وضع اعلان مبادىء يضع فيها الجميع وبصياغة مشتركة تصوارتهم لجمهورية المستقبل المستقلة ذات السيادة. فقرات الاعلان وسطوره.. فراغاته ونتوءاته تحمل الملامح والمعاني التالية التي لم يكتبها الموقعون:

١ — الاقلية الصربية الضخمة التي تمثل نحو ثلث سكان الجمهورية وما تحمله من امل الابقاء على اكبر ساحة ممكنة من اراضي الجمهورية اليوغسلافية تحت العلم اليوغسلافي. يستتبع ذلك احتمالات العمل على تدمير النزعة الاستقلالية البوسنوية سواء عبر الابقاء عليها في الاطار اليوغسلافي وهو ما تجاوزته الاحداث، او تفريغ الاستقلال البوسنوي من مضمونه بانتزاع الاراضي التي يسكنها الصرب والحاقها بجمهورية الصرب او ما تبقى من يوغسلافيا الاتحادية.

٢ — جيش فيدرالي تحت مسميات مختلفة يتركز وبعتاده المتنوع في اراض البوسنة والهرسك، الامر الذي اثر — بشكل او بآخر — في حركة اقلام الموقعين على البيان ناهيك عن كثافة المداد ذاته للدرجة التي تختفي معها حروف وتظهر اخرى.

٣ — رعاية اوروبية شاغلها الشاغل وهاجسها الاول الحيلولة دون قيام دولة مسلمة في اوروبا تحمل في ثناياها التزاما اسلاميا حقيقيا.

٤ — حليف يمثله الكروات يرتبط والمسلمين بمصلحة مشتركة قوامها مواجهة الصرب او العدو المشترك. يسير هذا الحلف فقط حتى حدود مواجهة الصرب لينفك بعد ذلك مع اول منعطف.

٥ — انعدام الدعم الخارجي الشامل لمسلمي البوسنة والهرسك بينما يتلقى الصرب والكروات دعما اوروبيا بتنويعات مختلفة سواء على اساس العقيدتين الارثوذكسية والكاثوليكية التي ينتمي

● تم وضع «اعلان مبادىء الترتيبات الدستورية» والاتفاق عليه بواسطة الاحزاب الرئيسية الثلاثة للمسلمين والصرب والكروات في الثامن عشر من مارس عام ١٩٩٢.

اليها كلاهما او من دول الجوار ذات العلاقات التاريخية الوثيقة مثل اليونان والمانيا. اضافة الى ذلك وجود الدولة الام لكل من الاقليتين فهناك جمهورية الصرب من جهة وجمهورية كرواتيا من جهة اخرى، بينما يبقى المسلمون وحدهم في الساحة.

في كل الاحوال يتبقى في النهاية الاحتكام الى اعلان المبادىء، لنقرأ اسطورة وخلفياته كما يلي:

(«أ» الاستقلال)

١ — البوسنة والهرسك دولة مؤلفة من ثلاث وحدات تأسيسية، تقوم على المبادىء الوطنية وتأخذ في الاعتبار المعايير الاقتصادية والجغرافية وغيرها.

٢ — البوسنة والهرسك تحرص على استمرار بقاء حدودها الحالية. كما انه لا حكومة البوسنة والهرسك ولا الحكومات الاعضاء الثلاث سوف تشجع او تؤيد اي مطالب بأي جزء من اراضيها من قبل دول الجوار.

٣ — يتمتع بالسيادة المواطنون المسلمون والصرب والكروات ومختلف الامم والقوميات الاخرى، وهم يحققون ذلك عبر المشاركة المدنية في الوحدات التأسيسية الثلاث والاعضاء الرئيسيون الاخرون في الجمهورية.

(«ب» المبادىء العامة)

١ — البوسنة والهرسك والوحدات التأسيسية الثلاث تحكم وفقا لما يلي من مبادىء دستورية تلك التي تفهم وتطبق عامة في الدول الديمقراطية الغرب اوروبية وايضا بما يتفق مع ما تم الاتفاق بشأنه في مسودة الاتفاقية «تحت المناقشة».

أ — احترام حقوق الانسان في اعلى درجاتها كما هو متصور في مسودة الاتفاقية. بالتأكيد على الملكية الخاصة واقتصاد السوق وتكوين المؤسسات التجارية.

ب — الحق العام والمتساوي في التصويت، واجراء الانتخابات الحرة التي تكفل سرية التصويت.

ت — حرية الانشطة السياسية والتجارية.

ث — دولة ذات نظام علماني مع حرية دينية تامة وفصل بين الكنيسة والدولة، وفصل بين سلطات الدولة، وتأكيد دور القانون والنظام الديمقراطي الفعال في مراقبة وحماية الشرعية والدستورية.

ج — مراقبة دولية وقضائية لحماية حقوق الانسان والحرية.

(«ت» مجلس النواب والدولة)

١ — مجلس النواب هو مجلس مكون من مواطني الجمهورية الذين ينتخبون بالاقتراع المباشر ومجلس ثان مكون بالتساوي من ممثلين لوحدات الجمهورية الثلاث.

٢ — يمثل مجلس النواب مجلس المواطنين ومجلس ممثلي الوحدات. وتقوم الحكومة عبر الاجراءات التنفيذية بتنظيم مقترحات الوحدات الثلاث فيما يلي: المصرف المركزى والسياسة

النقدية — العلاقات الخارجية — الدفاع — السياسة الاقتصادية العامة — العلاقات الاقتصادية. يضاف الى هذا، الفروع تلك التي تتداخل بين اكثر من وحدة من الوحدات الثلاث التي تشكل مجموع الجمهورية وهي: المواصلات — امدادات الطاقة — خطوط الانابيب وترتيبات المياه وما يستجد من امور اخرى.

يؤخذ بأغلبية الاربعة اخماس من اجمالي اصوات مجلس ممثلي الوحدات الثلاث عند مناقشة القضايا التالية: العلم — الشعار — التعليم العالي — الدين — الشئون المتعلقة بالدفاع — السياسات العريضة للاقتصاد / الامور العامة والهامة المتعلقة بالسياسة الاقتصادية — القرارات الخاصة بالعلاقات بين البوسنة والهرسك ودول الجوار، وما يستجد من قضايا.

ملاحظـــة:

يتم تحديد الامور المتعلقة حول القوات المسلحة مستقبلا خلال المفاوضات الحالية، وهو ما لا ينطبق على القوات الحالية التي تعد قضية سيتم حلها بشكل منفصل.

٣ — يتم تشكيل قوام الخدمة المدنية والادارة القضائية بطريقة نسبية وفقا للتركيبة الوطنية للجمهورية.

٤ — يتم تأسيس محكمة خاصة للفصل في مجال الاستفسارات الدستورية بين سلطات الجمهورية في الوحدات التأسيسية الثلاث، تستمر المحكمة في العمل لفترة لاتقل عن خمس سنوات وتشمل عناصر نزيهة من خارج الجمهورية ودول الجوار، تضم المحكمة عضوا من كل واحدة تأسيسية في وحدات الدولة الثلاث التأسيسية ونفس العدد من خارج الجمهورية، وتأخذ قراراتها بالاغلبية البسيطة.

(«ث» الوحدات التأسيسية)

١ — يتم تشكيل الوحدات كما هو مبين في الفقرة «ج» لاحقا.

٢ — مجلس النواب والحكومة لديهما السلطة على المستوى التشريعي للدولة في المجالات المحددة اعلاه ووفقا للاجراءات المتفق عليها اعلاه ايضا وذلك لسن القوانين وادارة الامور المتعلقة بالوحدات التأسيسية الثلاث فيما يعني ادارة الشئون الخدمية والرسمية لهذه الوحدات — نزع الملكية للاستخدام العام — تسجيل الاراضي — الوقاية من الحرائق — الغرف التجارية — الاشراف على المنظمات التجارية التعاونية — بنوك الادخار ومؤسسات الاقراض — الاشراف على المؤسسات الخيرية — الضمان الاجتماعي — التأميت ضد المرض — الحفاظ على التراث التاريخي — والثقافي والفني والمؤسسات مثل المكتبات والمعاهد والمتاحف — استخدام الاراضي — مراقبة البيئة — الاسكان — الاسواق — الطرق — خدمات الطاقة — التعدين — الصيد البري والبحري — خدمات الطبيعة — ترتيبات مجاري المياه — انابيب النقل — النقل من خلال الوحدات التأسيسية — السياحة — الزراعة والغابات — المساعدة الاجتماعية — التعليم — المدارس — الشرطة — التجارة ومظاهر السياسة الاقتصادية الاخرى — الامن والاعمال العامة — الصحة — الرياضة وسبل قضاء الوقت «الاستحمام» — ما يستجد من موضوعات.

تستطيع الوحدة التأسيسية تأسيس والابقاء على العلاقات والروابط مع جمهوريات اخرى ومنظمات بشكل ينسق مع استقلال ووحدة اراضي جمهورية البوسنة والهرسك.

٣ — كل المؤسسات «الخدمية المدنية — القضائية — الخ....» التي اقامها نظام الوحدات التأسيسية تعكس بطريقة نسبية التشكيلة الوطنية لهذه الوحدات.

٤ — اعضاء الشعوب الذين يمثلون اقليات في الوحدة التأسيسية يتمتعون بالحماية.

(«ج» تعريف الوحدات التأسيسية)

يتم تشكيل مجموعة عمل من اجل تخطيط اراض الوحدات التأسيسية، تقوم على المبادىء الوطنية وتأخذ بعين الاعتبار الامور الجغرافية والاقتصادية وغير ذلك من الامور. تقوم الخريطة على اساس الاغلبية السكانية المطلقة او النسبية في كل مجلس بلدي، بحيث يكون ذلك اساس مهمة مجموعة العمل، يخضع هذا العمل للتعديل فقط من قبل المستويات الاعلى. كما يتم الحاق نسخة من الخريطة بهذا الاعلان.

(«ح» الخطوات الانتقالية)

يتم اعداد قانون دستوري لتعديل الدستور من اجل اضفاء قوة التأثير على هذه المبادىء الامر الذي يتيح للوحدات التأسيسية اجراء ترتيبات مستقبلية بما يتفق والجزء «ث» من الاعلان.

ثم الانتهاء من هذه المسودة في سراييفو في الثامن عشر من مارس لتكون اساسا للمفاوضات اللاحقة. وجرت الموافقة عليها بواسطة قادة الاحزاب الثلاثة «المسلمون — الصرب — الكروات» في الجولة الخامسة من المحادثات حول الترتيبات الدستورية المستقبلية للبوسنة والهرسك تحت رعاية مؤتمر سلام المجموعة الاوروبية.

CENTRAL COMMISSION REPORT FOR THE ASSEMBLY OF THE MUSLIM NATIONAL COUNCIL

DATE: November 4, 1991
SUBJECT: *Referendum Results on Full Autonomy of Sanjak held on October 25, 26, 27 1991*

After we had received all municipalities' commissions reports from Sanjak and other communes from all over Yugoslavia, where citizens of Sanjak are living and working temporarily, and after receiving results from other foreign countires where citizens participated in the referendum, we, the central commission for carrying out the referendum on autonomy of the Sanjak, have counted all the received results and we have tabulated the following voting figures:

In voting polls for the referendum on autonomy of Sanjak, in Sanjak municipalities, as well as other places in Yugoslavia and abroad, there were 264,156 registered and eligible voters. From this total number in the polling register, 185,437 eligible voters went to the polls, or 70.19 percent of eligible and registered voters.

On the referendum question: "YES - In favour of the full political and territorial autonomy of Sanjak, with the right of connection to one of the sovereign republics", the vote count was 183,302 or 98.85 percent of all votes. This is 69,39 percent of the entire body of eligible voters.

On the referendum question: "NO - not in favour of the full political and territorial autonomy of Sanjak", the vote count was 1,982 or 1.07 percent of all votes.

Invalid voting papers (ballots) totalled to 153, which is 0.08 percent of all casted votes.

All material used to carry out the referendum, including the ballots and tabulation sheets, is properly sorted, stored and classified in separated envelopes, and is being held by a special body of the Muslim National Council, which is taking care of it's proper storage.

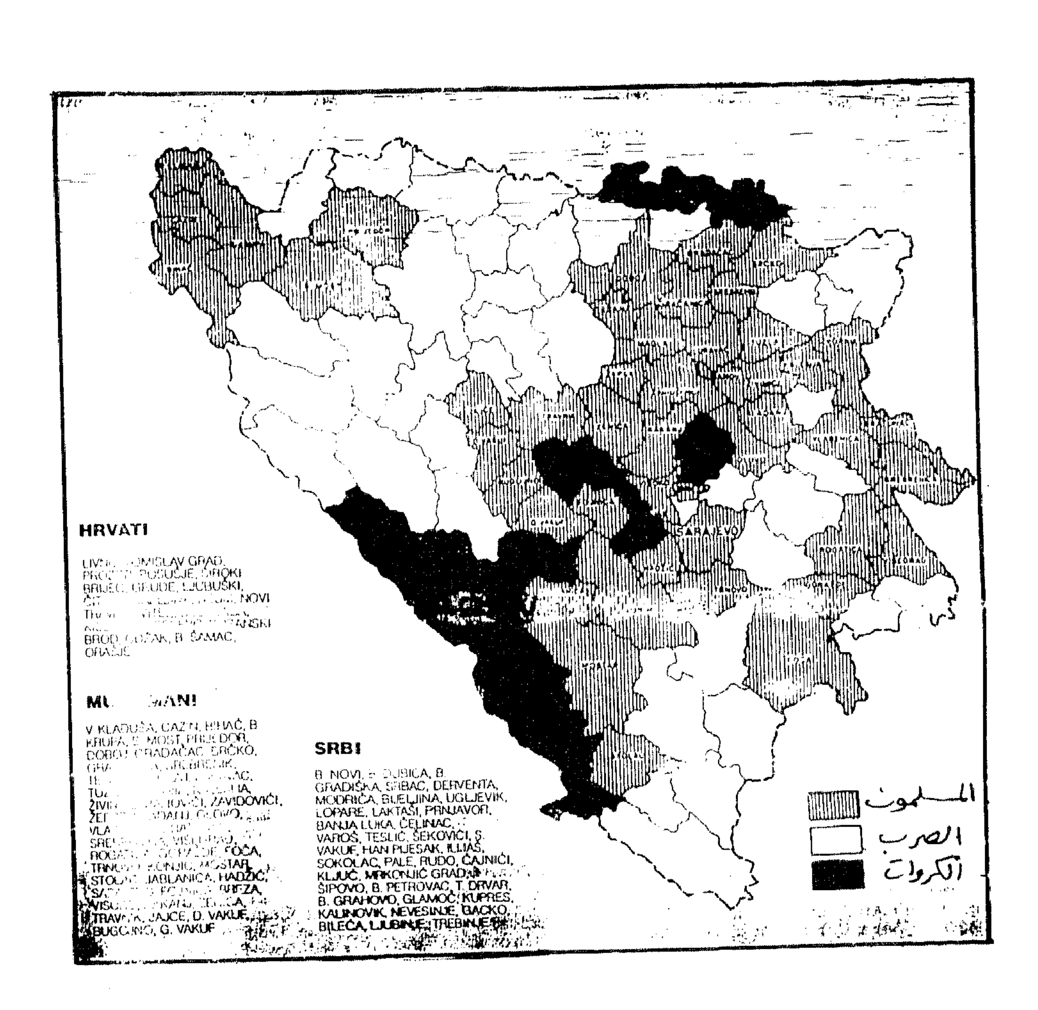
Based on the above facts, the Central Commission for the carrying out of the Referendum on autonomy of the Sanjak can state that the referendum succeeded.

Commission members:

1. Dr. Rasim Ljajic, president — signature
2. Dr. Fevzija Muric, vice-president — signature
3. Prof. Azem Hajdarevic, member — signature
4 Hadija Jakupovic, member — signature
5 Kasim Zoranic, member — signature

No 19/ '91
Novi Pazar October 4, 1991

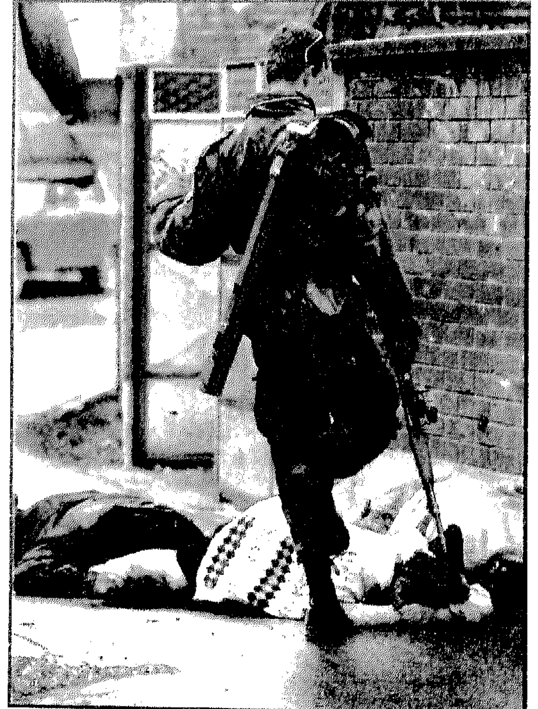
النسخة الانجليزية لتقرير اللجنة المركزية لاجتماع مجلس المسلمين الوطني بالسنجق وتوضح نتيجة الاستفتاء على الحكم الذاتي الكامل للاقليم الذي تم في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ اكتوبر عام ١٩٩١ واسفر عن موافقة نسبة ٩٨,٨٥٪ من الذين ادلوا بأصواتهم، و٦٩,٣٩٪ من اجمالي الناخبين.



خريطة توضح للبوسنة والهرسك تظهر اماكن تركز اتباع الديانات الثلاث



مسلم يتعرض للقتل على مسافة خطوات.



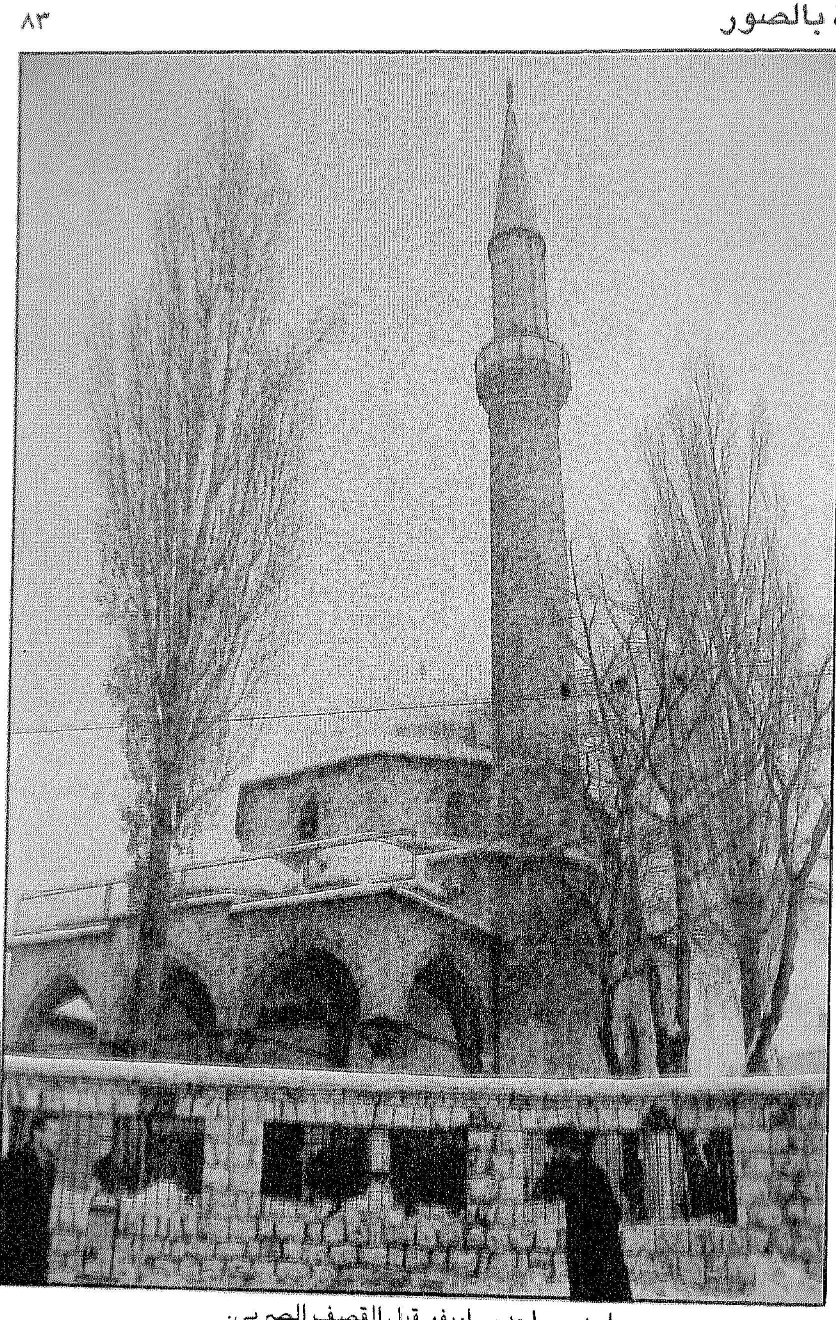
المأساة بالصور

القدم بعد الرصاص والضحية مسلمون.

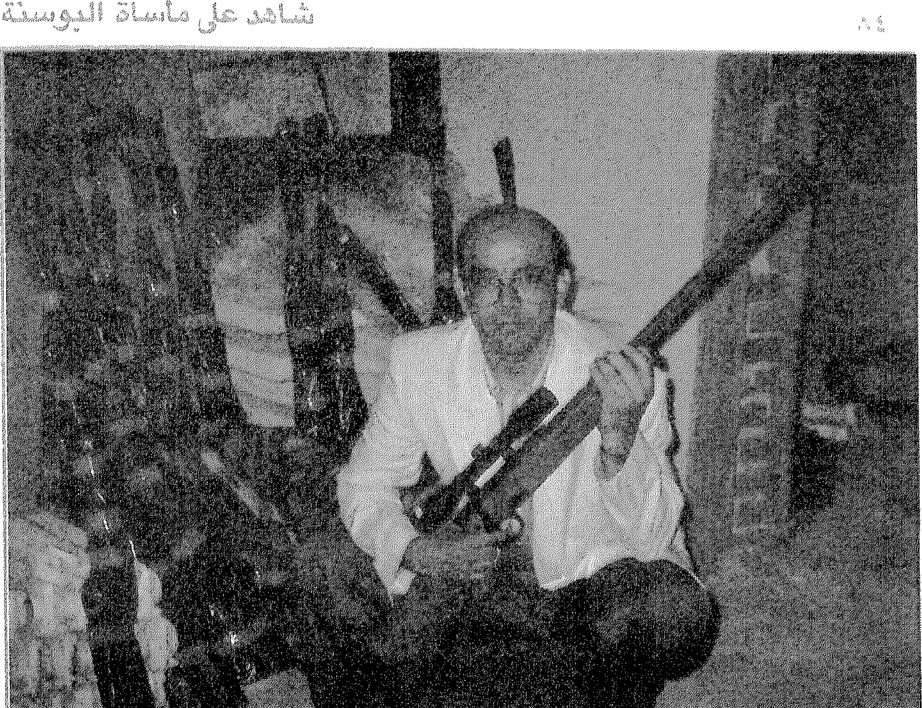


داخل سيارة في الطريق الى معسكرات اللاجئين بكرواتيا.

ام شهيد بوسنوي.



احد مساجد سراييفو قبل القصف الصربي.



المؤلف داخل احد مخابيء السلاح البوسنوية.



.. ومع المقاتلين الكروات في كارلوفاتس.

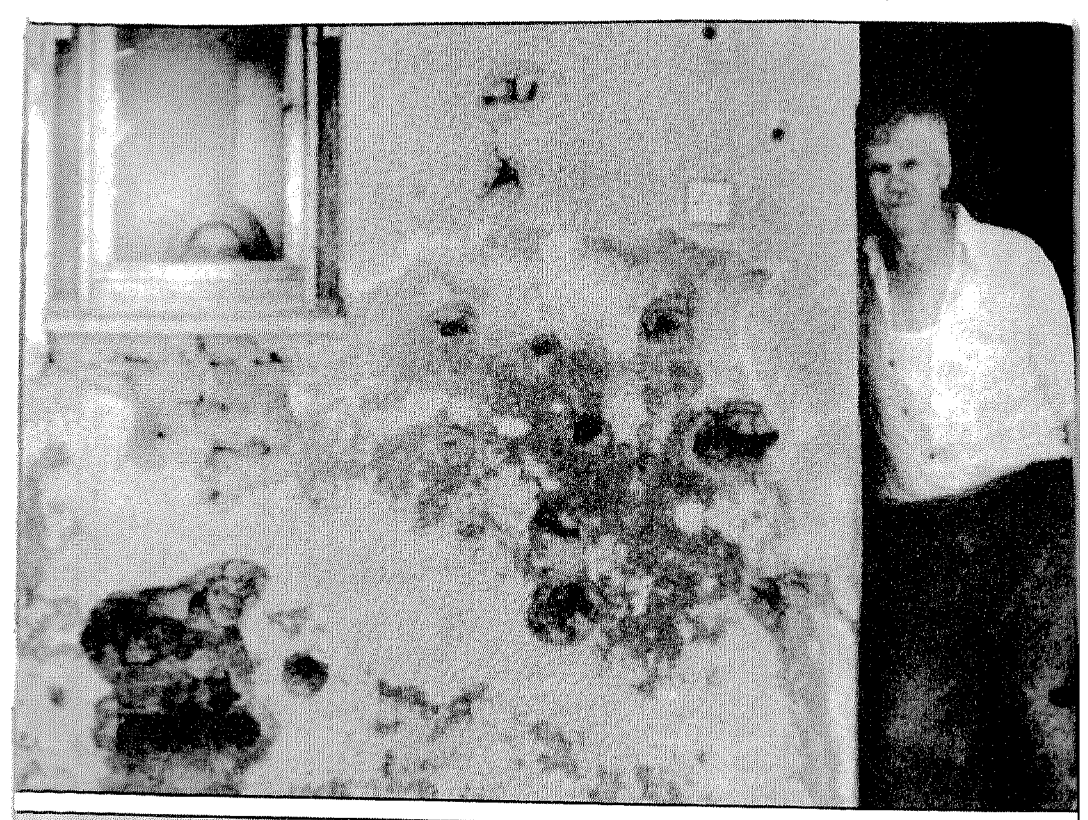


اكبر
مباني
سراييفو
يحترق.

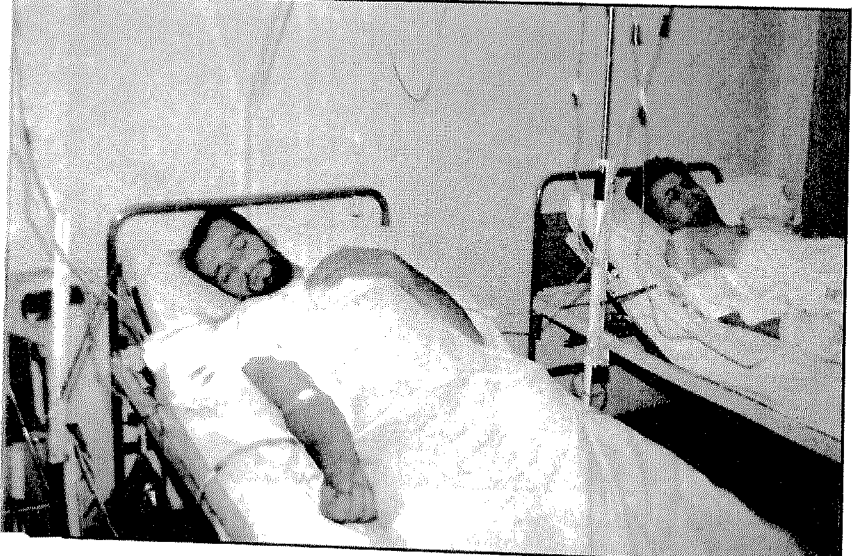


قناص مسلم يصوب نحو موقع صربي.

قتال الشوارع.



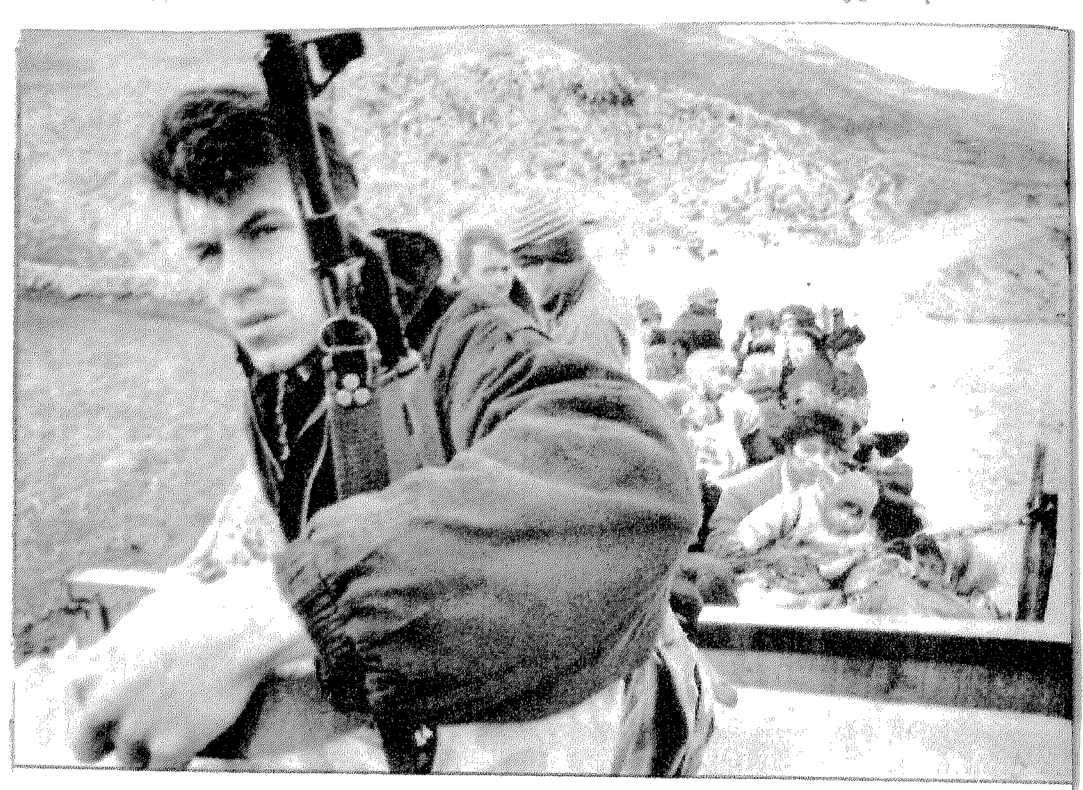
زوجـــان مـن البوسنة ينظـران من داخل منزلهما الـــذي تعـــرض لقصف العـــدوان الصربي.



جرحى بوسنويون



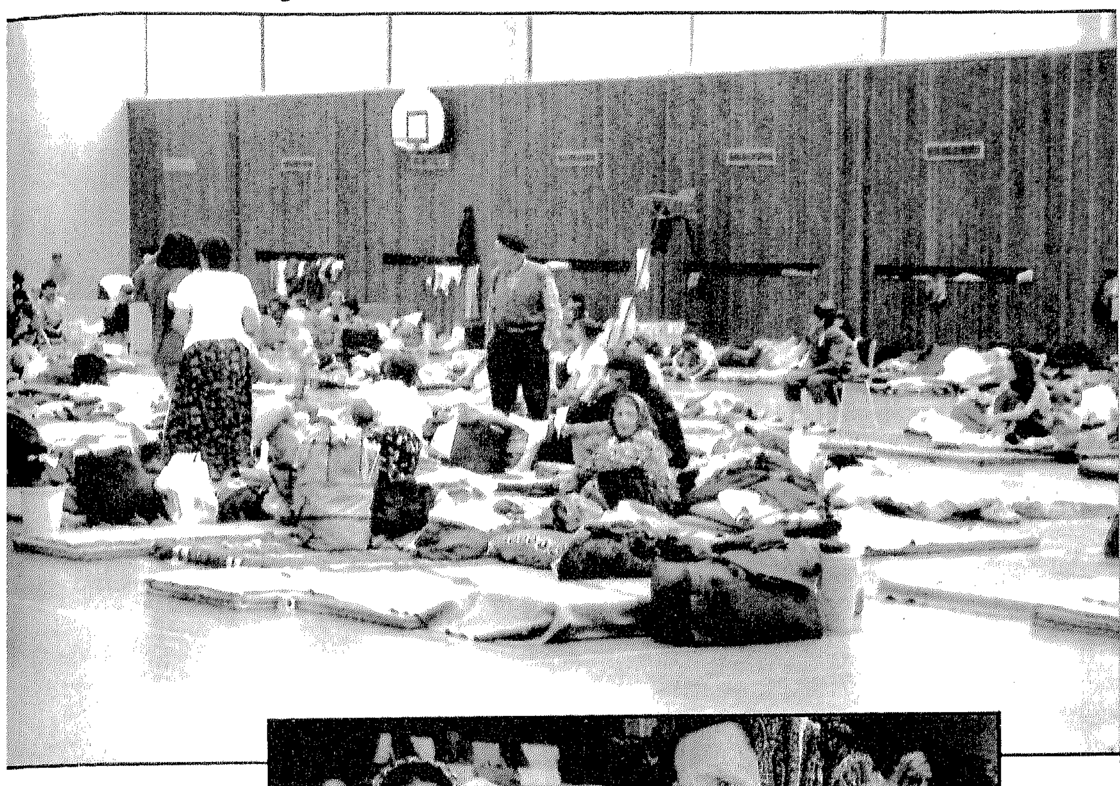
ضحايا بالجملة لمسلمي البوسنة والهرسك



مهاجرون من قرية ترونوفو البوسنوية في حماية احد القاتلين.



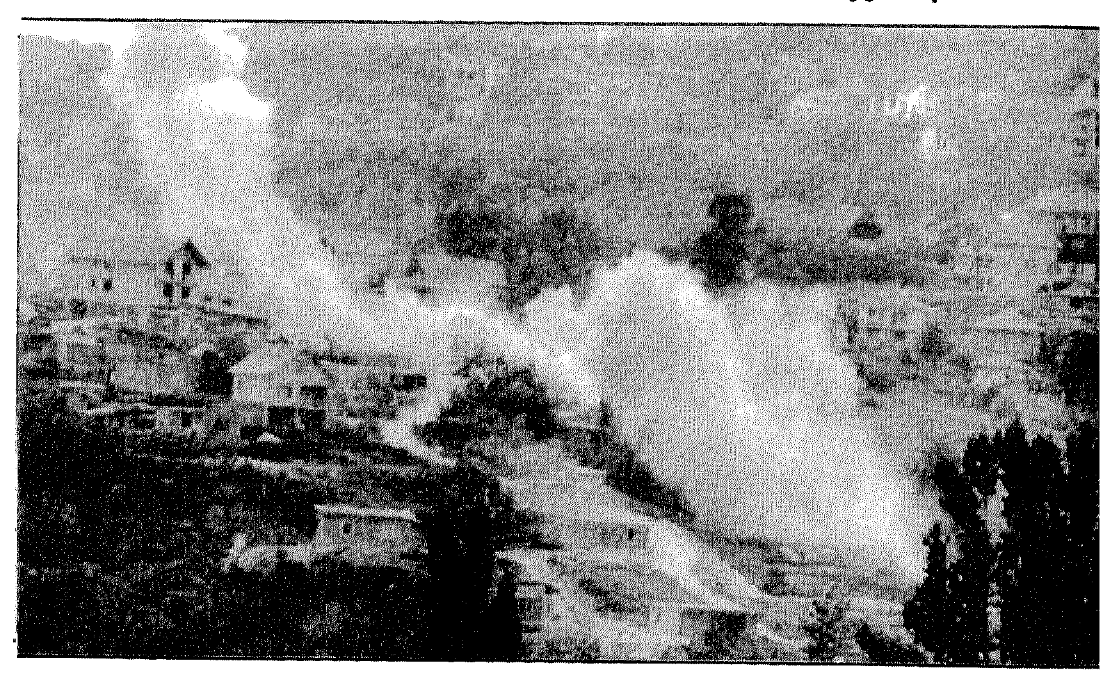
عجوز تتساءل.



داخل معسكر للمهاجرين في المدينة الرياضية في سبليت.



ملامح الكارثة تعلو الوجوه.



ضاحية من ضواحي سراييفو لم تسلم من القصف.

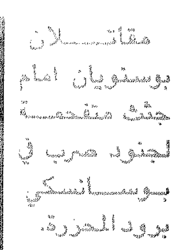


نظرة غضب في قلب سراييفو تصنعه رصاصات القنص الصربي.



ام بوسنوية تحمل ابنتها التي فقدت الوعي من جراء الاصابة.





مقاتـــلان بوسنويان امام جثث متفحمة لجنود صرب في بوسـانسكي برود المحررة.

مصافي نفط طالها القصـف في بوسانسكي برود.



عشرات الايدي للحصول على لقمة



جيل يتذكر مآسي الاربعينات
.. جيل يدافع عن الاسلام



حرب الشوارع لا تتوقف.



الحصول على الغذاء
مشكلة حقيقية.



وحيدا وسط شهداء الحرب في الجزء القديم من العاصمة.



مزار شهيد ينام تحت ثلج الشتاء في سراييفو.





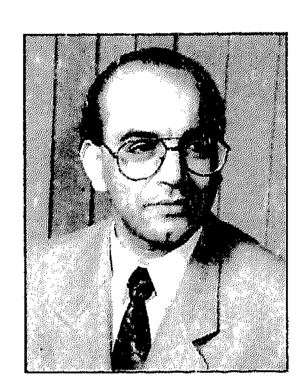


حالنا هذا ابتلاء من الله عز وجل، كما هو تكريم منه جل شأنه، لقد اضطرنا الظرف الحالي الى التحرك لتقرر مصيرنا والتعامل مع الاحداث بواقعية تأخذ بعين الاعتبار مايحدث فعلا على الارض، وليس مايتمناه لنا الآخرون. علينا بالقتال والمحافظة على وجود المسلمين وحياتهم بالقوة. لابد من الجهاد للابقاء على المسلمين احياء بمواجهة دنس عدوان الصرب والجبل الاسود (مونتينجرو).

د. سليمان اوجليانين
رئيس حزب العمل
الديمقراطي في السنجق

الثمن : ١٠ دراهم

ريع هذا الكتاب يخصص لمسلمي البوسنة والهرسك



المؤلف :

- مواليد عام ١٩٥٣
- بكالوريوس صحافة من كلية الاعلام بجامعة القاهرة.
- حاصل على دبلوم اللغة الفرنسية والمرحلة المتوسطة من الدبلوم العالي للادب الفرنسي من الاليانس فرانسيز.
- صحفي بجريدة الجمهورية عضو نقابة الصحفيين المصرية.
- عمل صحفيا في خمس دول عربية واوروبية.
- يعمل حاليا مديرا لمكتب جريدة «الاتحاد» الظبيانية في باريس.
- صدر له كتاب بعنوان «١٧ قضية في ميزان الاسلام»